الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعيّ عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللّغات — قسم اللّغة والأدب العربيّ

المرجع: .....

قَصْدِيَّةُ الاِسْتِفْهَامِ فِي كِتَابِ رُوحِ الْمَعَانِي لِلْآلُوسِيّ
-الْجُزْءُ الْأَوَّلُ نَمَوْذَجا-

مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربيّ

تخصّص: لسانيّات عربيّة

إعداد الطّالبتين:

* **زينة غنام.**
* **فريال جواد.**

إشراف الأستاذ:

الدّكتور/ فاتح مرزوق

السّنة الجامعيّة: 2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

لك منّا كلّ الشّكر والتّقدير على مجهوداتك

وارشاداتك، كنت لنا خير المعين، ونِعْمَ الأستاذ

حفظك الرّحمن، وجزاك كلّ خير.

والشّكر موصول للّجنة المحترمة الّتي تجشّمت قراءة العمل؛

ليزيد نورا على نور، ويسطع بأبهى حلّة تزيد من قيمته العلميّة

وكذا لكلّ أساتيذ قسم اللّغة والأدب العربيّ.

فريال جواد، زينة غنّام

الإهداء

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[آل عمران: 170].

الحمد لله الذي نظن به خيرا فيكرمنا بأفضل مما ظننا به

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: 113].

بكل فخر أهدي فرحة تخرجي وتعب هذه السنين إلى من كان سدا منيعا في وجه الصعاب إلى من كان سندا وذخرا ومنبعا للأمل والصبر والكفاح إلى من دفع الغالي والنفيس ليرى نجاحي إلى أعظم رجل ...أبي الغالي

إلى من كانت دعواتها بلسما للروح

إلى النبع الذي منه أرتوي السعادة في أيام الحزن إلى سيدة النساء .... أمي الحنون

إلى قرة عيني وسندي ومسندي إلى وتين قلبي ...عمتي الغالية

إلى عمود أسرتنا إلى من أحمل اسمه بكل فخر ...جدي الذي لن يكرره التاريخ شفاك الله

إلى ظلعي الثابت أخواتي وإلى فرحتي أخي الصغير ...

إلى من رافقتني لإكمال هذا المشوار خليلة الفؤاد ... فريال

إلى خليلات الروح وصديقات الصعاب إلى من سنكون رفيقات في الجنة إن شاء الله

إلى كل من علمني أن الدنيا فانية لا ينفع فيها إلا علم نافع وعمل صالح وخُلق حميد

إلى من لم يبخلوا عليا بحرف إلى أساتذتي الفُضّل

بارك الله فيكم وجعله في ميزان حسناتكم

زينة غنام

الإهداء

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]

بداية أحمد الله تعالى على منه وعطائه، وتوفيقه وإحسانه، فبفضله وصلت إلى ما أنا عليه وأصلي وأسلم على رسوله المختار ﷺ.

أهدي هذه الثمرة العلمية:

إلى نور الأمل وبسمة الحياة، إلى معنى الحب والحنان، إلى التي رافقتني بدعائها الذي كان سببا في توفيقي ونجاحي بعد الله تعالى- أمي-

إلى مدعمي في الحياة، الذي علمني الصبر والثبات، إلى مصدر الأمان - أبي-

إلى سندي ومسندي- أخي-

إلى أجزاء من روحي- أخواتي-

إلى روح أختي الراحلة، التي اختارها الله؛ لتغادر من دنيا الفناء إلى دار البقاء رحمها الله وجعلها من أهل الجنة.

إلى التي شاركتني مشقة وتعب الطريق- زينة-

إلى رفيقات الدرب كل باسمها ووسمها.

لـ" أنا" المتمسكة بأمل الله في غد أفضل.

إلى كل من كان له أثر في حياتي.... أهديكم هذا العمل.

فريال جواد

فريال جواد

الحمد لله الذي به نستعين على أمور الدّنيا والدين، وبفضله يفكر العقل، ويعبر اللّسان ويكتب القلم، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين خاتم الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد ﷺ الأمين فصيحِ اللّسان، وواضحِ البيان أمّا بعد:

فالتّداولية اتّجاه لسانيّ متنوع المصادر متشعّب المنابع، تجاذبته أطراف متعدّدة الروافد فلسفية ومعرفية؛ حتّى أضحت همزة وصل بين علوم اللسانيّات والمنطق والسيميائية وغيرها من العلوم؛ فالتداولية تسعى لدراسة اللغة في حيز الاستعمال من لدن المتكلمين، ضمن سياقات التواصل، وهي تعتمد في هذا على إحداث الانسجام بين أقطاب الحلقة التخاطبية فتراعي مقصد المتكلم بِعده محركا لعمليّة التواصل، ومقصد المتلقي في أثناء الخطاب كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية لعملية التواصل؛ ضمانا لتحقيق التواصل من جهة والوصول إلى غرض المتكلم، وقصده من جهة أخرى، غير أنّ الاتّساع المعرفيّ للتداولية وتعدد اتجاهاتها وفروعها جعل من الصعوبة على الباحثين العرب –في هذا المجال– تحديد مصطلح مقابل للمصطلح الأجنبي pragmatice وهذا راجع إلى الترجمة في اختلافاتها؛ فالتداولية من جهة مجال واسع تناولت بُعْدَها الاصطلاحيّ العديد من الدراسات النقدية التي لم تضبط استعمالا موحدا لها؛ فنجد ترجمات مختلفة كلّ حسب فكره: الذرائعية، والنفعية والسياقية.

وتعد القصديّة من بين القضايا التي اهتمت بها التداولية؛ فهي تعدّ مبحثا أساسا في التّحليل التداولي؛ إذ إنّها تُعبِّر عن المقاصد الدلالية للمتكلم، وما يريد أنْ يُوصِلَه إلى السامع.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القصدية تأخذ منحى بلاغيا وآخر تداوليا؛ أي إن القصدية من المباحث الأساسية التي ركز عليها البلاغيون العرب في دراساتهم للتراكيب البلاغية ودلالاتها، وفي الوقت نفسه هناك مواضع كثيرة يتبين فيها أثر قصد المتكلم في توجيه الأحكام النحوية؛ لأنّ تغيّر القصد يؤدي إلى تغيّر الحكم النحوي وتنوعه. وتجدر الإشارة

على أن القصدية أو التداولية بصفة عامة ترتكز بشكل أساس على التفاعل التخاطبي بين المتكلّم والسّامع؛ حيث نجد أنّ الاستفهام يَلِجُ ضمن النَّبْرَةِ الخطابيّة التي يحدث على مستواها التّفاعل وأنّه يتلّون بألوان الخطاب وأحواله؛ أيْ: إنّ المستخبر لا يهدف دائما إلى البحث عن إجابة محدّدة، وإنما يَهْدُف إلى تصوّر ما يتحدث عنه؛ فيخرجه من معناه الأصلي إلى آخر مجازي.

غير أن **الاستفهام القرآنيّ** ورد بأنماط مختلفة ممّا جعل دلالته مختلفة المقاصد في التعبير القرآنيّ، وهذا ما جعل المفسرين يسعون إلى تبيان مقاصده؛ من بينهم الآلوسي في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)؛ إذ يحمل هذا الكتاب في طياته خلاصة من مجمل التفاسير نحو الكشاف (للزمخشري) وأنوار التنزيل (للبيضاوي) ... وغيرها؛ إذ يعد بحرا من بحور التفاسير لاهتمامه باللغة من جميع المستويات: نحويّة وبلاغيّة، ودلالية وغيرها من العلوم؛ لذا فقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع نظرا **للأسباب الآتية:**

– قيمة الكتاب اللّغويّة والمنهج المتّبع في التفسير؛

– إثبات الخصوصيّة العلميّة التي تربط الدّرس النحويّ البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ في مبحث التّداوليّة من خلال تفسير روح المعاني للألوسيّ؛

– الرّغبة الملحّة في معرفة سرائر التفسير اللّغويّ من منظور تفسير الألوسي، وما يحويه من طاقة لغويّة تتّم في ربط الجانب النّحويّ بالجانب التّداوليّ المقتضي للسّياقات المختلفة.

ومن هذا المنطلق نروم للإجابة عن **الإشكالية** الآتية: "**فِيمَ تكمُنْ قصديّة الاستفهام في تفسير روح المعاني للآلوسي من حيث منظورُها التّداوليّ؟**

وللإجابة عن هذه الإشكالية نضع مجموعة من الفرضيات، هي كالآتي:

–هل ثمة علاقةٌ بين التّركيب الاستفهامي بأنماطه والمقصد التّداوليّ؟

-أيمكن أنْ نجزم أنّ الألوسي تفرّد في تبيان مقاصد الاستفهام في سياقاته المختلفة؟

وقد اتّبعنا **المنهج الوصفي التّحليلي**؛ المعزّز بمنهج متكامل للإحصاء في بعض المواطن لأنّ طبيعة الموضوع تقتضي ذلك؛ من خلال **وصف** الظّاهرة اللّغويّة لقصديّة الاستفهام، **وتحليل** جوانبها في تفسير روح المعاني، وما توصلت إليه الدّراسة، وكذا **نقد** إيجابيّات القصديّة من مفهومها التّداوليّ وتطبيقه على المدوّنة، بَلْهَ التّقعيدَ للعلاقة القائمة بين القصديّة والتّركيب الاستفهاميّ من خلال تفسير روح المعاني. أضف إلى إحصاء تلك الآيات الّتي حَوَتْ الأنماط الاستفهاميّة.

وقد **أَسْبَكْنَا** لهذا البحث **بنيةً** على وَفْق ما تقتضيه الإجابة عن الإشكالية التي يقتضيها الموضوع ضمن: فصلين تعقبهما مقدمة وتختم بخاتمة؛ تضمنت الإجابة عن الإشكالية – التي يَهدُف إليها البحث– في شكل نتائج خاصة، وقد تضمّنت المقدّمة تعريفا بالموضوع وأسباب اختياره والإشكالية التي يبحث فيها؛ وكذا الفرضيّات المنطلق منها، وبنية البحث وأهم المصادر المستند إليها في بناء متنه، والصعوبات التي اعترضتنا في البحث.

وأمّا **الفصل الأول** فقد وُسِم بـ: (التّداولية بين الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ) فقد شَمِل على العناصر الآتية: ماهية التّداولية، الاستفهام في الدّرس البلاغيّ، الاستفهام والتحليل التداولي.

وتجدر الإشارة إلى أنّ **الفصل الثّاني** الموسوم بـ:(قصديّة الاستفهام وتداوليته في تفسير روح المعاني) قد أدرجنا ضمنه: أنماط الاستفهام، وأهم المقاصد الّتي تَعْتَوِرُ التفسير.

وحريّ بنا أنْ نشير إلى أنّ بحثنا لم يكن عملا تأسيسيا؛ لأنّ أرضيته المعرفية مستمدة من دراسات عدّة سبقت بحثنا فيه، نذكر منها:

-الاتّجاه القصديّ التداوليّ في الدّرس النّحويّ-شرح المفصل لابن يعيش نموذجا؛ أطروحة دكتوراه، حاج علي فاضل؛

–الاستفهام في سورة النحل–دراسة تحليليّة تداوليّة أفعال الكلام–، رسالة ماجستير، زين الأفندي.

وبالرغم من قيمة هذه الجهود الّتي بذلها أصحابُ هذه الدّراسات، في رصد واقع الدّراسة (قصديّة الاستفهام في تفسير روح المعاني للآلوسي) إلا أن بحثنا قد أتى ليضيف لمسة أخرى تمثّلت في رصد ما انْمَازَ به الآلوسي عن غيره من المفسرين من خلال ربط التّراكيب المختلفة بالسّياقات الواردة في الآيات، وهذا ما لحظناه في دراستنا للاستفهام؛ حيث امتاز بمنهج متكامل، وبخاصّة في دراسة الآيات وتفسيرها؛ إذ كان يُعَرِّج في البداية إلى الحديث عن كل ما هو مرتبط بالآية من تصنيفها إلى مكيّة ومدنية، عدد الآيات، سبب النزول... ثم يشرع في تفسير الآية، وهذا خلافا لغيره من المفسّرين.

وقد **استندنا** في بناء هذا البحث إلى مصادر ومراجع متفرّقة، كان أهمّها:

- تفسير روح المعاني، للألوسي.
- تداولّية القصديّة بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي لـ فاتح مرزوق.
- التّداوليّة عن العلماء العرب لمسعود صحراوي.
- التداوليّة والبلاغة العربيّة لباديس لهويمل.

لقد صادف بحثنا في هذا الموضوع بعض الصّعوبات الّتي حاولنا جاهدين تخطّيها كان أهمها: ضيق الوقت، وكذا الجدّة في تطبيق الجانب التّداوليّ من المدوّنة الجليلة؛ المتمثّلة في التفسير القرآنيّ.

وفي ختام بحثنا نتقدّم بالشّكر الجزيل والعرفان والتّقدير لأستاذنا المشرف على نصحه وارشاده لنا؛ إذ أنار دربنا وأرشدنا إلى الطّريق الصواب.

الفصل الأوّل

التداولية بين الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوئي

أوّلا: ماهية التّداولية.

ثانيا: الاستفهام في الدّرس البلاغيّ.

ثالثا: الاستفهام والتّحليل التّداوليّ.

أوّلا: ماهية التّداوليّة

1: مفهومها لغة واصطلاح:

1-1/ لغة : يعود أصل كلمة التداولية إلى الجذر اللغوي "دَوَلَ"، وقد أتى في معجم لسان العرب " تداولنا الأمر، أخذناه بالدول، وقالو دواليك؛ أي: مداولة على الأمر ودالة الأيام أي: دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي، أخذته هذه مرة وهذه مرة وتداولنا العمل، والأمر بيننا بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرة و هذا مرة "[1].

وقد ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري: "دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل لهم الكثرة عليه... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم... وتداولوا الشيء بينهم"[2] وقد ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة:" يدول، دل دولا ودولة فهو دائل و المفعول مدول له، دال الأمر: انتقل من حال إلى حال..."[3] وقد ورد مصطلح التداولية في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْاَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران 140] بمعنى يصرف الله الأيام بين الناس و يداولها بينهم تارة لهؤلاء و تارة لهؤلاء.

والملحوظ من المعاني التي يحملها الفعل "دَوَل" من التغير والتحول والتبدل جارٍ بين شيئين أو أكثر؛ بحيث يقوم بينها هذا التبدل أو التحول كما هو الحال مع اللغة العربية.

أضف إلى هذا أنه إذا أمعنا النّظر إلى صيغة "تداول" الصرفية وجدناها على وزن "تفاعل" وهي تعني المشاركة، وهو ما تحمله كلمة التداولية في معناها من تبادل وتفاعل بين طرفين أو أكثر.

---

[1] ابن منظور أبو الفضل جلال الدين، لسان العرب، ط1. كورنيش النيل_القاهرة:1119، دار المعارف، مج2 ج17 ص1456

[2] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، ط1. بيروت، 1998: دار الكتب العلمية، ج1، ص303

[3] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (دول)، ط1. القهارة:2008، دارعالم الكتب، ص787

1_2/ اصطلاحا: يعود مفهوم مصطلح التداولية إلى الفيلسوف الغربي (تشَارْلَز موريس) الذي يعدها جزءا من علم العلامات، وضلعا من أضلاعها.

وهي في مفهومها ترجمة للمصطلح الغربي (pragmatic) و هي من بين المصطلحات التي ركز عليها اللغويون العرب في دراستهم " يدرس هذا العلم على حد تعبير Leech كيفية فهم الناس للحدث التواصلي Comnunicative أو الحدث الكلامي Speechact في سياق"[1] ما... بصورة عامة القوانين التي تحكم أو تصف كيفية استعمال اللغة في السياقات المختلفة وهذا ما يحيل إلى ضرورة توافر عناصر أساسية التي تعد في أصلها عناصر العملية التواصلية المتمثلة في المتكلم، وهو المسؤول عن إنتاج الكلام وتركيب الكلمات والتراكيب المستمع: وهو الذي يستقبل الكلام، ويقوم بتفكيكه، وتحليله لفهم القصد. والحدث التواصلي والسياق؛ إذ يتحكم هذا الأخير في الحدث التواصلي، فإذا اختلف السياق واختلف نطق الكلمات تتولد معان مختلفة للمفردة نفسها؛ أي: أن السياق، وطريقة النطق يتحكمان في تحديد معنى الكلمة. فمثلا كلمة (شكرا) هي في معناها العام تدل على الشكر والعرفان لكن إذا اختلفت كيفية نطقها _نبرة الصوت_ تكتسب اللفظة دلالات أخرى قد تتناقض مع معناها الأصلي فقد توحي بـ: الرفض، التهكم، الضيق... وعرفها أيضا (بهاء الدين) في كتابه (تبسيط التداولية) بأنها: "دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام Languge in use بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية "[2] أي أن التداولية تدرس اللغة كما تم فهمها واستعمالها في الواقع في إطار سياق معين لاكما وردت في الكتب، والمعاجم والقواميس. وأما (طَهَ عَبْدَ الرحْمَان) عرفها بأنها: "ما كان مظهرا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم"[3] أي أنه بالتركيز على مظاهر التواصل والتفاعل الخطابي.

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، التداولية عند ابن جني، دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص، ص203

[2] بهاء الدين محمد مزيد، كتاب تبسيط التداولية، ط1، القاهرة: 2010، شمس للنشر والتوزيع، ص15

[3] طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، ط2. الدار البيضاء: د.ت، المركز الثقافي، ص244

ومن خلال ما سبق يمكن القول إنّ التداولية في أيسر تعريف لها هي دراسة اللغة المستعملة في الواقع ضمن سياق معين؛ انطلاقا من التفاعل التخاطبي التواصلي بين طرفي الحلقة التواصلية (المتكلم والسامع).

2. نشأتها عند الغرب والعرب: سنبين نشأة التّداوليّة عند الغرب والعرب بحسب الظّهور والإرهاصات الأولى.

2_1. نشأة التّداوليّة عند الغرب:

التداولية درس جديد، وغزير انبثق من الفكر الفلسفي للغة يتبنى أدوات جديدة يسعى من خلالها لتحقيق العملية التواصلية في أثناء التفاعل التخاطبي، فقد كانت الارهاصات الأولى للتداولية على يد الفيلسوف، والسيميائي (تَشَارْلَزْ سَنْدَرَسْ بِيْرَسْ) حيث ارتبطت عنده التداولية " المنطق ثم السيميوطيقا"[1] بالإضافة إلى ارتباطها بالمنهج المعرفي، والعلمي؛ حيث نجد أن الملامح الأولى للتداولية انبثقت في المقال الذي نشره الفيلسوف عام 1878 الموسوم **"كيف نجعل أفكارنا واضحة؟** حيث تساءل **(بيرس)** في مقاله كيف يكون للفكرة معنى و"درس أيضا الدليل، وعلل إدراكه بواسطة التفاعل أو التبادل الذي يحدث بين الذوات، والنشاط السيميائي ربط هذا كله بالواقع الاجتماعي"[2] ونجد أن مفهوم **(بيرس)** للتداولية قد اختلف مع تطور فكره فقد انطلق من التساؤل الذي بدأ في عقله " وكون (بيرس) من رواد علم العلامات فلابد أنه اهتم بالإشارات الرموز في دراسته للتداولية، كما أنه بحث عن الوسائل التي يتم بها الاتصال بين الأفراد، وجعل من هذا نظرية، ولهذا يعُد الفيلسوف التداولية فرعا من السيميائية"[3].

---

[1] نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ط1. القاهرة: 2004، مكتبة الآداب، ص198

[2] ينظر: فاتح مرزوق بن علي، التقديم والتأخير في الجملة العربية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي، NOOR PUBLISHINGK، ص51

[3] ينظر: فاتح مرزوق بن علي، التقديم والتأخير في الجملة العربية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي، ص 51

إذاً التداولية عند (بيرس) قائمة على الاتّصال مع مراعاة المحيط الاجتماعي، ويرى أيضا أنه إذا حددنا التداولية تحددت العلامة اللسانية، وهذه الأخيرة لها علاقة بظروف استعمالها، ومن خلال هذه الظروف تحمل معناها، والشيء نفسه نلمحه عند (تَشَارْلَزْ مُورِيسْ) الذي ربط التداولية بالسيميائية؛ حيث قال: "التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقات بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات "[1] بمعنى أن التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقات بين العلامات، ومستعمليها وأيضا تدرس كيفية تفسير المتلقي لهذه العلامات إذن نلحظ أن التداولية، والعلامة تربطهما علاقة تكاملية.

وأمّا إذا عرجنا بالزمن فنجد بدأت ملامح التداولية بالاكتمال، والنضج، والتطور على يد(أوستين)، وهذا الأخير أنكر و تصدى للفكرة التي مفادها " أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارة الإخبارية هي وصف حال الوقائع وصفا إما يكون صادقا، أو كاذبا، وأطلق عليه المغالطة الوصفية "[2] بمعنى أن (أوستين) رفض، وأنكر فكرة بأن تكون الوظيفة الوحيدة للغة هي الإخبار عن حال الواقع، ووصفه بالكذب، أو الصدق، وبهذا ميز بين نوعين من العبارات، الأولى: "التي تكون أفعالا منجزة تخبر عن وقائع العالم الخارجي، و يمكن الحكم عليها بالصدق، أو الكذب، و الثانية :تنجز بها أفعالا فهي لا تحتمل صدقا، أو كذبا "[3] ومن ميسم القول مما ذكر آنفا أن (أوستين) في العبارة الأولى رفض ثنائية الصدق، والكذب، وفي العبارة الثانية التي تحمل في ثناياها إقراره بأن كل قول ملفوظ هو عمل.

---

[1] باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص158

[2] الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، الجزائر: 1986، ديوان المطبوعات الجامعية ص22

[3] المرجع نفسه، ص22

ومن هذا نستنتج أن هذا العالم هو واضع نظرية الأفعال الكلامية التي تنص على أن كل كلام ملفوظ يخفي قصدا، وبعدا كلاميا أي " الفعل الذي تشكله واقعة الكلام بالذات"[1] وقد قسم الأفعال اللغوية إلى إنشائية، وإخبارية.

2_2: نشأة التّداوليّة عند العرب: إن الحديث عن نشأة الدرس التداولي عند العلماء العرب يحيلنا إلى أنه كان مرتبطا بالدرس البلاغي، والنحوي ف" المتأمل في حركية الفكر اللساني العربي نحو البحث التداولي يدرك أن الدرس التداولي في التراث اللغوي العربي كان متحركا تحرك البحث النحوي، والبلاغي وارتبط بهما في معظم الأحول.. و كان جزءا لا يتجزأ من الممارسات النقدية العربية سواء في دراستها اللغة ورصد خصائصها أو البحث في أسباب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم "[2]. أي إنّ الّتداولية عند العرب كانت تسير في الاتجاه نفسه مع النحو والبلاغة؛ أي: إنها مرتبطة بهما، النحو من خلال الاهتمام بكيفية بناء الجمل والتراكيب.

والبلاغة من خلال رصد الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم وطريقة نظمه وبصفة أعم نجد البلاغة تهتم بمراعاة مقتضى الحال، فارتباط التداولية بالبلاغة يدل على وجود تقاطع بين العلمين؛ " فإذا كانت البلاغة تراعي مقتضى الحال أثناء استعمال اللغة من لدن المتكلم فكذلك التداولية هي مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه طرق، وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح و السياقات و الطبقات المقامية المختلفة التي ينجر ضمنها الخطاب "[3] أي: إن كل من التداولية والبلاغة يلتقيان في مجال الاهتمام بالاستعمال اللغوي واختلاف مقاماته.

---

[1] فاتح مرزوق بن علي، التقديم والتأخير في الجملة العربية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي، ص 54

[2] عبد الفتاح يوسف، التداولية وتنوع مرجعيات الخطاب. حدود التواصل بين لسانيات الخطاب والثقافة، جامعة المنصورة، مصر، ص673

[3] فاتح مرزوق، التقديم والتأخير في الجملة العربية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي، ص63_64

والحري بالذكر أنّ الموروث العربي عند العلماء الأوائل كانوا يستثمرون التحليل التداولي في قضايا بلاغية من بين هذه القضايا نجد مثلا فكرة السياق؛ إذ إنّ المتمعن في كتب الأولين يجد أن فكرة السياق دُرِسَتْ في صحيفة جلّ علماء الأوائل باسم: المقام ومقتضى الحال؛ أي: جعلوا مصطلح المقام ومقتضى الحال؛ مقابلا لمصطلح السياق. والذي نجد بأنه قد "اعتنى بالسياق الخارجي وماله من أبعاد تداولية في إنتاج الخطاب وفهمه ورسم خطوط هادية في تعلم العربية وتعليمها ليخرج النحو على يده آفاق الإبداع الذي يتوافق وسياقات الحديث التداولي ..."[1] أي: إن سيبويه يهتم بالسياق الخارجي؛ أي: المحيط الخارجي الذي يساهم بشكل فعال في عملية إنتاج الخطاب و فهمه و مدى تأثيره في تحقيق عملية التواصل بين كل من المتكلم والمستمع كما نجد أيضا السكاكي (626ه) الذي قام بتقديم دراسة الظاهرة مقتصرا على التراكيب المفيدة الدالة فإذا نظرنا إلى البلاغة العربية نجد بأنها تقوم على مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ويتجلى هذا من خلال علم المعاني؛ بحيث قام السكاكي بتبيان موضعه فنجد بأنه يتمثل في: تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ... ثم أوضح مفهومه لخواص تراكيب الكلام بقوله: "وأعني بخاصية التركيب ما سيق منه الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريا مجرى اللازم له "[2].

والواضح من قوله إن دراسة التراكيب تكون مقتصرة على عنصر الإفادة؛ كونه وسيلة التواصل بين مستعملي اللغة وأن تراكيب الكلام أي المعاني تحمل دلالات مباشرة وأخرى غير مباشرة. أشار سيبويه إلى خروج بعض الأساليب خبرية أو إنشائية عن معناها الأصلي إلى معنى آخر فقال :" ولا يجوز أن تقول: ينتهي خيرا له ولا أنتهي خيرا لي؛ لأنك إذا ذهبت

[1] وهيبة بن جدو، الفكر التداولي في كتاب سيبويه، العدد 4، المجلد 24، 2022، مجلة اللغة العربية، ص11

[2] المرجع نفسه، ص9

فأنه تزجية إلى أمر، وإذا أخبرت أو استفهمت فأنت لست تريد شيئا من ذلك إنما تعلم خبرا أو تسترشد خبرا "[1].

ونجد أيضا (مسعود صحراوي) في كتابه " التداولية عند العلماء العرب الذي قام بدراسة ظاهرة الأفعال الكلامية التي يمكن إدراجها ضمن علم المعاني، فقد درس ظاهرة الأفعال الكلامية... ضمن نظرية الخبر والانشاء، وأن المعايير التي اعتمدها العرب القدماء للتمييز بين الخبر والانشاء متعددة ومختلفة باختلاف المراحل التاريخية ... وأن علماء أصول الفقه كانوا من أحسن المستثمرين لظاهرة الخبر والانشاء في إطارها التداولي"[2].

ومنه يمكن القول إنّ جل الدراسات التداولية في التراث العربي التي قدمها العلماء من خلال دراسة قضايا بلاغية واستثمار التحليل التداولي في شتى قضايا لغوية عربيّة؛ إذ هذه الأخيرة أسهمت بصفة فعالة في تقديم أفكار مهمة حول المعرفة اللغوية والبلاغية و العلاقة بينهما "وهي علاقة مهمة في سياقها التاريخي الخاص وأهميتها تكمن في الارتباط التداولي بين أسلوب التعبير ومعناه وظيفته ."[3]

3/ قضايا التّداوليّة: سنبين ها هنا أهم القضايا الّتي تعتور التّداولية علما:

3_1: الاستلزام الحواريّ: هو ترجمة للمصطلح الأعجمي Conversational Implicature وهي كلمة تتكون من شقين اثنين هما: "Conversational /Implicature الأول عبارة عن اسم والثاني صفة للاسم الأول" [4] فالأول ترجم بمعنى الاستلزام أما الثاني فترجم للعديد من المصطلحات وهذا ما يفسر تعدد التسميات فهناك من يسميه بـ: "الاستلزام

[1] وهيبة بن جدو، الفكر التداولي في كتاب سيبويه، ص9

[2] عبد الفتاح يوسف، التداولية وتنوع مرجعيات الخطاب، ص673

[3] المرجع نفسه، ص674

[4] رندة قدور، محمد بن أحمد، الاستلزام الحواري قراءة في تعدد المصطلحات، مجلة إشكالات في اللغة والأدب الجزائر، مخبر اللغة العربية وآدابها، مج 10، ع 1، 2021، ص90.

الحواري الاستلزام الخطابي، التلويح الحواري، التضمين التحادثي، الإضمار في المحادثة." [1]

ويمكن تعريفه بأنه: "عمل المعنى أو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر، أو قل إنه شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة حرفيا". [2] وهذا يحيل إلى أن الاستلزام الحواري لا يتعلق بالمعنى الذي يقوله المتكلم ويصرح به بل يتعلق بالمعنى الاخر الخفي الذي يدرك من خلال التأويل والفهم؛ أي إن الاستلزام الحواري يسعى للكشف عن المقاصد الخفية للمتكلم. نحو: (طلب التلميذ من زميله أن يعيره القلم، فأجابه زميله بأنه يكتب به)؛ فرد التلميذ يحيل إلى رفض طلب زميله، وهذا يحيل إلى أن الجملة تتضمن معنيين في الوقت نفسه؛ معنى حرفي وآخر خفي استلزامي.

ومنه يمكن القول إنّ المعنى الحرفي هو: أنه يكتب بالقلم أما المعنى الخفي فهو: أنه لا يريد مشاركة القلم. كما يمكن تعريف الاستلزام الحواري على أنه: "جسر يربط بين ما هو داخلي في الجملة وبين ما هو خارجي وهذا ليحصل إلا من خلال مجموعة من الوسائل المساعدة التي يمكن أن نطلق عليها بالتأويل"[3].

وغير بعيد أن ظاهرة الاستلزام الحواري تقوم على أربع مسلمات حسب مسعود صحراوي وهي: مسلمة القدر، مسلمة الكيف، مسلمة الملاءمة ومسلمة الجهة.

1/**مسلمة القدر** Quantité و"تخص قدر الإخبار الذي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية وتتفرع إلى مقولتين:

أ-اجعل مشاركتك تفيد القدر المطلوب من الاخبار.

---

[1] رندة قدور، محمد بن أحمد، الاستلزام الحواري قراءة في تعدد المصطلحات، ص90.

[2] صلاح اسماعيل عبد الحق، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 2005، ص78.

[3] بن عيسى ازبيط، الخطاب اللساني العربي-هندسة التواصل الاضماري من التجريد إلى التوليد، ص 275-277.

ب-لا تجعل مشاركتك تفيد أكثر مما هو مطلوب" [1]

فالمشاركة هنا تكون بالقدر المطلوب لتحقيق العرض المنشود؛ أي: على المتكلم أن يقول ما هو مهم دون زيادة أو نقصان.

2/ مسلمة الكيفQualité: ونصها " لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه. "[2] فالمحاور لا يستطيع أن ينجح بما هو كاذب وما هو غير مقنع ولا يستطيع البرهنة عليه وهذا ما يسهم في جعل حجته ضعيفة؛ أي أن يكون عدد الألفاظ مساو لعدد المعاني.

3/ **مسلمة الملاءمة** :Pertinence وهي عبارة عن قاعدة واحدة " لتكن مشاركتك ملائمة "[3] أي يجب أن يكون الكلام مناسبا لموضوع الخطاب والسياق إضافة لكون المشاركة في موضوع الخطاب مناسبة.

4/ **مسلمة الجهة** Modalité تنص هذه المسلمة على:

أن يكون الكلام واضحا دقيقا، مختصرا مع مراعاة الترتيب أي: أن يكون الكلام بالقدر الذي تقتضيه المبادرة الكلامية

3_2: التّضمين التّخاطبي: يعد التضمين التخاطبي من بين النظريات التي اوردها العالم الغربي (Paul Grice) التي اصبحت تعتمد في إطار التحليل التداولي اللساني، وقد نجحت هذه النظرية في تبيان معاني الكلام الحقيقية والخفية وهذا ما جعلها تقوم على فكرة مفادها" أن اللغة نشاط عقلي يمارس... في عملية الاتصال وأن هذه الممارسة العقلية..

---

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ط1، بيروت:2005، دار الطليعة، ص33 فما بعدها.

[2] المرجع نفسه، ص34.

[3] المرجع نفسه، ص34.

تهدف الى التعاون بين المتخاطبين "[1]؛ أي إن هذه النظرية تنظر الى اللغة على أنها نشاط عقلي ووسيلة لإقامة التواصل بين المتحدث و المستمع كما تسعى الى تحقيق التعاون بينها بغية انجاح التواصل.

وعرّف(**غرايس**) التضمين التخاطبي بـ:" اذا صدر شخص ما أن (س) يضمر في خطابه لـ (ص) قصدا ضمنيا فهذا يعني أن الأول يراعي في خطابه لـ(ص) ما يأتي: أن (س) يراعي في خطابه ل(ص) قواعد التضمين التخاطبي Converersational Maxims أو على الأقل المبدأ التعاوني Cooperative principal [2] " وفي السياق ذاته يكمل غرايس بقوله " ان يفترض أن (س) على وعي كاف بأن (ص) هو مقصود في خطابه، وهذا يعني أن ما يوجهه (س) لـ (ص) في خطابه يتوافق و هذه الفرضية Supposition

أن يعتقد (س) المتكلم أن (ص) المستمع على وعي بالسليقة بأنه هو المقصود في خطابه على التعيين وفقا للفرضية المذكورة في البند الثاني "[3] وهذا يحيلنا إلى أن التضمين التخاطبي يشترط وجود عنصرين أساسين هما: المتكلم والمستمع وأنه على المتكلم مراعاة المستمع في أثناء التخاطب وأن الخطاب القائم بين هذين العنصرين يتضمن قصدا ضمنيا وحتى يتحقق هذا الأخير وضع غرايس شروطا مفادها: "-الدلالات العرفية للألفاظ المستعملة!

-المبدأ التعاوني... والقواعد المدرجة تحته!

[1] وليد حسين، دلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند غرائس، العدد2010،2، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص7.

[3] المرجع نفسه، ص7.

–السياق اللغوي أو غير اللغوي للكلام المنطوق! " [1] وفي السياق ذاته نجد أن غرايس أضاف شرطين آخرين هما:

"–عناصر أخرى تتعلق بالخلفية المعرفية.

-يشترك كل من المتكلم والسامع في هذه المعطيات ويكونان على وعي كاف بذلك" [2]

فاعتمادا على المعطيات و الشروط السابقة يمكن تحقيق القصد الضمني و ذلك مع مراعاة:

-وضوح دلالات الالفاظ المستعملة.

-وجود سياق للكلام المنطوق.

-ووجود خلفية معرفية.

-وقد قسم غرايس دلالة الخطاب إلى قسمين هما:

-1/"**دلالة المقول:** ويعني به غرايس ما يتضمنه ملفوظ الخطاب من معان صرفية ونحوية ومعجمية متحصلة من تعانق المفردات التي يشير مجموعها إلى النسبة الخارجية الموجودة في الذهن.

2/**دلالة المقصود المتضمن المفهوم من الخطاب** "[3]. أي: إن الخطاب أو تركيب الكلام يشمل كل من الجانب النحوي والصرفي وينتج عنهما الجانب المعجمي (الدلالي) وهذا ما يسمى: بدلالة المقول نحو قوله تعالى «مالك يوم الدين» [الفاتحة: 4] نجد أن كلمة (مالك) على وزن اسم فاعل. ونجد ان هناك من قرأها (مالك) التي بمعني من يملك شيء، وهناك من قرأها (ملِك) بمعنى الذي يملك كل شيء؛ وهنا نجد أنه قد اجتمعت الهيئة الصرفة إضافة إلى التركيب (صفة)؛ (مالك) ومنه أنتجت دلالة؛ أي: أن كل ملك مالك وليس العكس وكخلاصة يمكن القول:

[1] وليد حسين، دلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند غرائس، ص7 فما بعدها.

[2] المرجع نفسه، ص7 فما بعدها.

[3] فاتح مرزوق، التقديم والتأخير في الجملة العربية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي، ص168.

البنية الصرفية +التركيب النحوي =الدلالة المعجمية وهي ما تسمى: بدلالة المقول شريطة أن تكون من نحو وصرف ودلالة.

وقد قسم (غرايس) القسم الثاني من أقسام دلالة الخطاب إلى قسمين هما:

1/2-**التضمين العرفي** :Conventional implicature وهو "المعنى الذي يدركه المتكلم بالكفاية اللغوية دون أن يكون للعقل أو لإعمال الفكر دور في ذلك"[1]. أي أنه المعنى الذي يدرك من خلال ترابط المفردات والتراكيب دون الحاجة إلى إعمال العقل مثلا: في جملة (محمد رسول الله) نجد أنها جملة اسمية مكونة من مبتدأ(محمد) وخبر (رسول الله) وأن كلا منهما معلوم وهذا ما يعطي فائدة إخبارية عكس قولنا:(أمحمد خرج؟!) نجد أن هناك شك وهنا لا يوجد تضمين عرفي.

2/2 التضمين التخاطبي: وهو" استدعاء العقل لمجموع التوقعات التي يسبرها المتلقي من مقول النص بالاعتماد على قواعد تخاطبية مخصوصة وليس بالرجوع إلى المعاني العرفية او الاستنتاجات المنطقية "[2]. أي: إن التضمين التخاطبي يعتمد على القواعد التخاطبية المتمثلة في: الجانب النحوي، الجانب الصرفي، الجانب الصوتي إضافة إلى الواقع بحيث يفصل هذا العنصر الأخير بين التضمين التخاطبي والتضمين العرفي نحو قولنا (وثب) في قبيلة مُضر تعني (قعد) وفي وفي قبيلة(حمير) تعني قفز نجد أن معنى الكلمة اختلف من قبيلة لأخرى وأن واقع المخاطب هو من فرض الدلالة.

أنواع التضمين التخاطبي:

أ- **التضمين التخاطبي المتعارف أو النموذجي:** وهو" القصد الضمني الذي يصدر نتيجة لالتزام المتكلم بقواعد التخاطب "[3]. فمن خلال التزام المتكلم بقواعد التخاطب يكون المستمع قادرا على فهم القصد الضمني والمعنى المراد من الخطاب.

---

[1] وليد حسين، دلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند جرايس، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص9

[3] فاتح مرزوق، التقديم والتأخير في الجملة العربية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي، ص171.

ب- **التضمين التخاطبي المجازي:** وهو"القصد الضمني الذي يحدث نتيجة خرم المتكلم لإحدى قواعد التخاطب أو استغلالها "[1] أي: إن القصد هنا يفهم من خلال خرق قواعد التخاطب أو استغلالها.

ت- وهناك تقسيم آخر للتضمين التخاطبي وهو كالآتي:

ث- **التّضمين التّخاطبيّ الخاصّ:** وهو القصد الضمني الذي يحدث في سياق حالي مخصوص.

ج- **التّضمين التّخاطبيّ العام:** وهذا النوع من القصد الضمني لا يتطلب إعماله سياق حاليا مخصوصا. "[2] فإذا نظرنا إلى النوع الأول نجد بأن القصد فيه يحصل نتيجة لمعرفة سياق حالي مخصوص و أن السياق يسهم بشكل فعال في إيضاح القصد و فهم الكلام عكس النوع الثاني.

3_3. مفهوم القصديّة: سنعرض المعنى اللّغويّ والاصطلاحي للقصديّة بحسب نظرة اللّغويّين من حيث المعنى اللّغويّ والاصطلاحيّ.

3_3_1: لغة: أتى في لسان العرب أنّ: "القصد استقامة الطريق وطريق قاصد: سهل مستقيم والقصد: العدل، والقصد في الشيء: خلاف الافراط "[3].

وقد ورد لفظ القصد في القرآن الكريم بمعنى الاعتدال والوسطية في قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ [لقمان، 19] وقال أيضا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل،09] أي: على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء الله بالحجج و البراهين الواضحة"[4]. وقد ذكر (ابن

[1] فاتح مرزوق، التقديم والتأخير في الجملة العربية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي، ص172.

[2] المرجع نفسه، ص172.

[3] ابن منظور، لسان العرب مادة (ق. ص. د)، ط1. القاهرة :1119، دار المعارف، ص3642

[4] محمد ابن يوسف الشهيد بأبي حيان الأندلسي، تفسير المحيط، ط1. بيروت :1993، دار الكتب العلمية، ج5 ص458

جني) الجذر اللغوي لهذا المصطلح فيقرأ: أصل (ق. ص. د) بمعنى الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء كما يأتي أيضا بمعنى العدل"[1].

كما نجد أيضا ورود لفظ القصد مرادفا للفظ معنى في أساس البلاغة للزمخشري؛ حيث قال:" عُنيت بكلامي كذا: أردته و قصدته ، ومنه المعنى "[2].

ومن خلال هذه التعريفات نلحظ أنّ القصد هو استقامة الطريق، والعدل وهو خلاف الإفراط؛ أي: الوسطية، كما هو مرادف للفظ المعنى كما أتى في أسرار البلاغة أي: إن القصد هو المعنى الذي أراده المتكلم ومنه فالقصد، والمعنى مرتبطان يتحكم بها القاصد أو المتكلم.

3_3_2: اصطلاحا: وردت تعريفات كثيرة للقصدية من حيث مفهومها الاصطلاحي؛ فقد عرفها (الطاهر بن عاشور) بقوله: "هي الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساعٍ شتى أو تحصل على السعي إليها مثالا وتلك تنقسم إلى قسمين: مقاصد للشرع ، ومقاصد للناس في تصرفاتهم "[3] أي: أن المقاصد هي الأهداف التي يسعى الإنسان لتحقيقها من خلال تصرفاته، وأعماله و يسعى لتحقيقها بوسائل و طرق متنوعة وهذه المقاصد تنقسم إلى مقاصد شرعية تتوافق مع الشريعة الإسلامية أي الأفعال التي يحددها الدين، ومقاصد للناس في تصرفاتهم؛ أي: هي الأهداف التي يسعى الناس لتحقيقها في حياتهم بشكل غير مرتبط بالشرع .

---

[1] ينظر: فاتح مرزوق بن علي، تداولية القصدية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي، مجلة اللغة العربية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع1،2023، ص605

[2] الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1. بيروت :1998، دار الكتب العلمية، ج2، ص80

[3] الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الاسلامية، ط2. تونس :2007، دار سحنون للنشر والتوزيع، ص142

ويرى (طه عبد الرحمان) أن القصد "هو ذاته المعنى، وهو قائم عليه في أنواع المعاملات والعقود الشرعية، وهو يحيلنا على ذلك للمبدأ التداولي والذي سماه مبدأ التصديق كما صاغه بقوله: (لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك) "[1] والبيّن أن القصد هو مرادف للمعنى وهو المقصد الذي أراد المتكلم أن يوصله للسامع.

والملحوظ هنا أن المعاملات، والعقود الشرعية تقوم على مبدأ الصدق في النية، والقصد الحقيقي الذي يتفق مع الشرع ومنه فكل كلام يجب أن يوافقه فعله.

وتجدر الإشارة إلى أنّ القصدية نتجت من مفهوم التداولية، ووظائفها؛ حيث إنّ التداولية تعمل على بيان مقاصد المتكلمين حين التواصل بينهم فهي تهتم بدراسة اللغة التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل للتعبير عن مقصده ومن هذا القصدية تعد جانب أساسي في العملية التواصلية، إضافة إلى أهمية مراعاة المقام؛ لأنه يبين ظروف الخطابات المتنوعة"[2].

ثانيا: الاستفهام في الدّرس البلاغيّ

1. مفهوم الاستفهام لغة واصطلاحا: سنحاول في هذا الجزء تبيان المعنى اللّغويّ والاصطلاحي للاستفهام من خلال ما أورده المعجميّون وأولوا اللّغة.

1_1. لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور في مفهوم الاستفهام "الفهم: معرفتك الشيء بالقلب. فَهِمَه فَهمًا وفَهَمًا وفهامة: علمه الأخيرة عن سيبويه وفهمت الشيء: عقلته وعرفته. وفهمت فلانًا وأفهمته وتفهم الكلام: فهمه شيئا بعد شيء. ورجل فَهِمٌ: سريع الفهم، واستفهمه: سأله أن يفهمه"[3].

---

[1] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو الكوثر العقلي، الدار البيضاء: المركز الثقافي، ص 250

[2] ينظر: فاتح مرزوق بن علي، تداولية القصدية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي، ص606

[3] لسان العرب، مادة (فهم)، ج46، ص3481

وقد أتى في معجم أساس البلاغة للزمخشري: "فهم: تقول: من لم يؤتَ من سوء الفهم أتي من سوء الإفهام: يريع الفهم، ولا يتفاهمون ما يقولون وتقول من جزع من الاستبهام فزع إلى الاستفهام"[1] وقد ورد في معجم الصحاح كما يلي:" فهمت الشيء فهما وفهامية، علمته. وفلان فَهِمٌ. وقد استفهمني الشيء فأفهماه، وفهمته تفهيما. وتفهم الكلام، إذ فَهِمَه شيئا بعد شيء"[2]

ونخلص من هذه التعاريف أنّ الاستفهام يحمل معنى طلب العلم بالشيء المجهول لدى المستفهم.

وميسم القول أنّ الاستفهام هو السؤال والاستفسار عن الشيء الذي لا يعلمه السائل ويكون باستخدام أدوات وبخاصة الاستفهام.

1_2. اصطلاحا: أمّا من حيث الاصطلاح فقد عرّفه الشريف الجرجاني بقوله: "الاستفهام هو استعلام ما في ضمير المخاطب"[3] والبيّن من قول الجرجاني أنّ الاستفهام يرتكز على الطّلب، وهنا إشارة إلى أنّه يدخل ضمن قانون الطّلب. و قيل أيضا أن الاستفهام هو: "أن يستفهم عن شيء لم يتقدم له به علم؛ حتى يحصل له به علم"[4].

والأمر الملحوظ من هذه المعاني أنّ الاستفهام هو طلب المتكلم لفهم شيء لم يكون مفهوما في ذهنه أو ذهن المخاطب له مما دفعه للاستفسار عنه، والاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم طالب أن يفهمه.

---

[1] جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، ط1. بيروت، 1998: دار الكتب العلمية، ج2، ص42

[2] أبو بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، لبنان: 1986: مكتبة لبنان، دائرة المعاجم، ص215

[3] علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات. بيروت: 1985: مكتبة لبنان، ص17

[4] سميرة حيدا، من أساليب العربية الاستفهام وأدواته مغني اللبيب نموذجا، مجلة حوليات التراث، جامعة وجدة المغرب، ع16، 2016، ص55

وقد أورد (السيوطي) تعريفا للاستفهام قائلا: "هو طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه مالم يكن حاصل عنده مما سأله عنه"[1] أي إنّ المتكلم عندما يستفهم فهو لا يطلب من المخاطب الجواب المباشر؛ بل إنما يهدف إلى أنْ ينشئ في ذهن المخاطب فكرة أو تصور لم يكون موجود سابقا في ذهنه؛ أي: إنّ الاستفهام هو وسيلة لطلب شيء جديد في ذهن المخاطب أو لإثارة التأمل في شيء معين.

والدائر في كتب البلاغة أن مصطلح الاستفهام من الأساليب الانشائية الطلبية التي تحدث عنها أوائل المؤلفين والبلاغيين والنحاة، وقد عقد له سيبويه في كتابه بابا سماه: (باب الاستفهام) كما اهتم غيره من النحاة بهذا الباب منهم: الفراء، المبرد، وابن هشام في رسالته المعروفة بـ: (الالمام بشرح حقيقة الاستفهام) وهي رسالة قصد بها صاحبها إزالة الغموض عن بعض مسائل الاستفهام، والتفريق بين أهم أدواته وما يقع في حيزها.

ونجد الاستفهام عند (ابن هشام) قسم إلى استفهام حقيقي يقصد به طلب الفهم و استفهام مجازي يتجاوز معنى الاستفهام لإفادة معان أخرى"[2] .

2. أدوات الاستفهام عند البلاغيّين: تنقسم أدوات الاستفهام إلى شقين اثنين: أسماء وحروف؛ فمن بين الحروف نجد (هل، الهمزة) أما باقي الادوات فتعد أسماء نحو: (من، كيف أين....) ونجد أن هذه الادوات "تنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

أ-ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو الهمزة.

ب-ما يطلب به التصديق فقط وهو: هل.

ج- ما يطلب به التصور فقط و هو بقية ألفاظ الاستفهام"[3]

---

[1] جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: أحمد مختار الشريف، دمشق: 1987، ج4، ص3

[2] ينظر: سميرة حيدا، من أساليب العربية الاستفهام وأدواته مغني اللبيب نموذجا، ص56

[3] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تد: يوسف الصميلي، صيدا بيروت، المكتبة العصرية ص78

فالتصور هو معرفة اللفظ أو الموضوع وحده، ونقول بأن الاستفهام يكون للتصور عندما يكون عناك نردد في شيئين نحو قولك: (أعلي ضرب خالدا أم زيد)؟

ونلحظ أنّ السائل محتار فيمن ضرب خالد (أهو علي أم زيد) وعليه؛ فهو يطلب التعيين ويدخل ضمن هذا القسم: الهمزة وباقي أسماء الاستفهام. أما التصديق فهو متعلق بتردد ذلك اللفظ أو المفرد في الذهن بين نفيه أو ثبوته كقولك: (أكتبتَ الواجب)؟ نجد هنا أن السائل يطلب تأكيد امر كتابة الواجب أو نفيه. ويدخل ضمن هذا الصنف: (الهمزة وهل).

أوّلا. حروف الاستفهام هل، الهمزة:

1.**الهمزة:** "عد ابن هشام الهمزة أصل أدوات الاستفهام" [1] وهذا راجع لجملة من المميزات التي ميزتها عن غيرها من الأدوات، نذكر منها:

أ-كما قلنا سابقا أن الهمزة تفيد كلا من **التصديق والتصور** معا عكس باقي الأدوات؛ التصديق نحو: (أحضرت الدرس)؟

التّصور: نحو: (أهند في المنزل أم في الجامعة)؟

ب-"تختص الهمزة بجواز تقديم الاسم قبل الفعل"[2] أي: أنه عند السؤال بالهمزة قد يكون اللفظ الذي بعدها اسما نحو: (أزيد منطلق)؟ وقد يكون فعلا نحو: (أكتب الطالب الدرس)؟ أما باقي الادوات فيليها الفعل وهذا على حد قول سيبويه: "وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل، إلا أنهم.. قد ابتدءوا بها بعد الاسماء والأصل غير ذلك، ألا ترى أنهم يقولون: (هل زيد منطلق)؟ فإن قلت: (هل زيدا رأيت)؟ قبح ولم يجز إلا في الشعر... أما الألف فتقديم الاسم فيها على الفعل جائز.." [3]

د-تدخل الهمزة على المنفي، نحو: (ألا ترى أمامك)؟

---

[1] عبد الرحمن توفيق العماني، أدوات الاستفهام دراسة احصائية مقارنة، الجامعة الاردنية: 2008، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص7.

[3] المرجع نفسه، ص 7.

هـ-"إذا كانت همزة الاستفهام للتسوية تليها جملتان تفصل بينهما (أم) المعادلة المتصلة العاطفة و يصبح الأسلوب خبريا و تسبق بكلمة سواء أو ما في معناها "[1] نحو قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: 6] وغيرها من الخصائص.

2-**هل:** هي حرف من حروف الاستفهام المبنية والتي لا محل لها من الاعراب ونجد أنها هي الأخرى تتميز بجملة من الخصائص هي:

ونجد أن (هل) لا تدخل على:

-**المنفي:** "لأن هل بمعنى (قد)... فلا يقال: قد لا يقوم خليل، فحينئذ هي مخصوصة بدخولها على النسب المثبتة، سواء كانت جملا فعلية أم اسمية واعلم أن عدم دخولها على المنفي لا ينافي أنها لطلب التصديق مطلقا سواء في الإيجابي والسلبي؛ أي لا تقع.. قبل الحرف العاطف..."[2] فحرف الاستفهام (هل) كما أشرنا سابقا أنها تفيد طلب التصديق؛ أي أن الاجابة عن السؤال تكون بنعم أو لا وأن (هل) في أصلها تحمل معنى (قد) لهذا لا يجوز لها أن تدخل على المنفي، فلا نقول: (هل لا يحضر الأستاذ)؟ لأن الجملة في أصلها منفية.

-كما نجد بأنها لا تدخل على " المضارع الذي هو للحال... ولا على إنّ.. ولا على الشرط ولا على حرف العطف.. "[3] أي أن هل لا تدخل على المضارع فلا نقول: هل تشرب الماء؟ لأنّها ستصرفه إلا المستقبل. كما أنها لا تدخل على (إنّ) لأنها تفيد التوكيد إذا دخلت على جملة ما، أما أداة الاستفهام فالغرض منها هو البحث والسؤال عن مجهول فلا نقول: (هل إن زيدا مسافر)؟

---

[1] عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه -إعرابه، ط1، 2000، مطبعة الشام، ص10

[2] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص81.

[3] المرجع نفسه، ص81.

_لا تدخل أيضا على الشرط؛ لأن الجملة الشرطية مكونة قسمين؛ جملة الشرط وجملة جواب الشرط وأن هذين الجملتين مرتبطتين بتحقق إحداهما على الثانية. فلا نقول: (هل إذا أجبت تكافئني)؟

-لا تدخل هل أيضا حرف العطف فلا نقول: (هل فيذهب)؟ لأن الأصل أن حروف العطف تأتي في الصدارة فالأصح قول: (فهل يذهب)؟

ملحوظة: الهمزة تدخل على جميع الحالات السابق ذكرها عكس (هل).

-ومن خصائص حرف الاستفهام (هل) أيضا أنها تفيد طلب التصديق أي أن الاجابة الإجابة تكون بـ(نعم أو لا أو بلى).

ثانيا: حروف الاستفهام: تعددت وتنوعت أسماء الاستفهام منها:

-**ما:** اسم استفهام يوظف للسؤال عن غير العاقل كما توظف للسؤال عن أشياء بغية إيضاحها وتبيان حقيقتها وتستعمل أيضا لـ" السؤال عن الجنس، تقول: (ما عندك)؟ بمعنى: أي أجناس الأشياء عندك؟ وجوابه: كتاب ونحوه... وعن الوصف تقول: (ما زيد)؟ أي ما صفة زيد؟ وجوابه: الكريم و نحوه [1]" هذا يحيل إلى أن اسم الاستفهام (ما) يوظف للسؤال عما يلي:

1-للسؤال عن غير العاقل نحو: ما الذي فوق الطاولة؟

2-توضيح المسمى وحقيقته، نحو: ما زيد؟ فيجاب: طويل، قصير، عالم....

3-للسؤال عن الجنس نحو: (ما عندك)؟

4-للوصف نحو: (ما الأسرة)؟

وتجدر بنا الإشارة إلا أن:

أي: أن اسم الاستفهام (من) يقوم بتوضيح جنس الشيء الذي نسأل عنه بغية معرفته.

✓ ألف(ما) تحذف إذا دخل عليها حرف جر وسبقها.

[1] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ط1، بيروت، لبنان: 1430-2009، دار النهضة العربية، ص94.

✓ أن (ما) تدخل على كل من الاسم والفعل نحو: (ما أدراك)؟ (ما اليوم)؟

✓ أن (ذا) تدخل على (ما) الاستفهامية في صورتين هما:

1"**اسم إشارة**؛ نحو: ما ذا الكتاب؟ أي ما هذا الكتاب؟

2-اسم موصول نحو: (ما ذا أتى بك)؟ أي (ما الذي أتى بك)؟"[1]

مَنْ: هي أيضا من اسماء الاستفهام، تأتي للسؤال عن العاقل عكس (ما) "وقد أورد السكاكي في كتابه مفتاح العلوم أن (من) تأتي للسؤال عن الجنس من ذوي العلم تقول: من جبريل؟ بمعنى أبشر أم ملك أم جني؟ وكذا.. من فلان"[2] أي: أن اسم الاستفهام (من) يقوم بتوضيح جنس الشيء الذي نسأل عنه بغية معرفته.

كما تدخل (ذا) على (من) لكن نجد أن النحاة قد انقسموا في تفسيرها وهذا ما جعلهم ينقسمون إلى قسمين: "منهم من عد (من ذا) اسما واحدا، ومنهم من جعل (من) استفهامية و(ذا) اسما موصولا أو زائدا. و سبب الخلاف أنهم جعلوا كلا من (من ذا) اسمين منفصلين ولكل واحد محله الإعرابي."[3] أيْ: من لها إعرابها الخاص و كذلك الامر بالنسبة ل (ذا) وذلك حسب الموقع.

-**متى:** اسم استفهام يستفهم به عن الزمان سواء كان ماضي أم مستقبل؛ كأن تسأل شخصا مثلا وتقول له: متى حضرت؟ متى موعد الملتقى؟ وهذا على حد قول اين يعيش بقوله:" أما متى فسؤال عن زمان مبهم يتضمن جميع الأزمنة، فإذا قيل: متى الخروج؟ فنقول: اليوم أو الساعة... والمراد بها الاختصار، وذلك لو أنك سألت انسانا عن خروجه لكان القياس اليوم تخرج".[4] فالسؤال بـ (متى) لا ينحصر ويتقيد بزمن واحد فقط؛ بل يشمل جميع الأزمنة من ماض و مستقبل.

---

[1] عبد الرحمن توفيق العماني، أدوات الاستفهام دراسة إحصائية مقارنة، ص3-4.

[2] اسماعيل شعلان مشرف المحمد، الاستفهام في القران الكريم- استفهام الملائكة حول خلافة الانسان أنموذجا- جامعة المصطفى العالمية:2019-1440، بنك الرسائل والأطاريح الجامعية العراقية، ص40

[3] المرجع نفسه، ص42.

[4] عبد الرحمان توفيق معاني، أدوات الاستفهام دراسة إحصائية مقارنة، ص14

-**أين:** من الأسماء التي يستفهم بها عن المكان حيث يقول ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة:" أين يكون استفهاما عن مكان، نحو: أين زيد؟ وتكون شرطا لمكان نحو: أين لقيت زيدا فكلمه، بمعنى أي مكان، فأما أينما فإنما تكون شرطا لمكان ما نحو: (أينما تجلس أجلس)، ولا تكون استفهاما"[1] وهذا يحيل إلى أن(أين): يستفهم بها عن مكان نحو: (أين القلم)؟

-شرطا لمكان نحو: (أين وجدت هندا فاسألها)؟

-إذا دخلت (ما) على (أين) يبطل عملها ولا تكون للاستفهام؛ أي إنها تصبح شرطا لمكان نحو: (أينما تجلس أجلس)

-**أيان:** توظف (أيان) للسؤال عن الزمان وقد تكون بمعنى (متى) يقول ابن فارس: "أيان بمعنى (متى) و(أيّ حين)، قال بعض العلماء*: نرى أن أصلها (أيّ أوان) فحذفت الهمزة وجعلت الكلمتان كلمة"[2].

والحري بالذكر أنّ من بين العلماء الذين قصدهم ابن فارس من خلال قوله نجد ابن قتيبة [3] أي: أن (أيّان) تحمل معنى كل من (متى) و(أي حين) اللذين يحملان معنى السؤال عن الزمان، وأن أيّان ترجع في أصلها إلى كلمة (أيّ أوان) حيث نجد أن الكلمتين أدمجتا من خلال حذف الهمزة.

-**أنّى:** اسم استفهام يحمل معنيين:

-يحمل معنى (كيف) التي يسأل بها عن الحال نحو قوله تعالى: «أنّى يحي هذه الله بعد موتها» [البقرة: 259].

---

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد صقر، القاهرة، ص 201

[2] المرجع نفسه، ص 201

[3] المرجع نفسه، ص201

– يحمل أيضا معنى (من أين) نحو قوله تعالى «قال يا مريم أنّى لك هذا» سورة [آل عمران: 37]

كيف: اسم استفهام يسأل به عن الحال أو الطريقة، يرى أهل اللغة أن له ثلاثة أوجه هي:

–أحدها سؤال محض عن حال، نقول: (كيف حال زيد)؟

والوجه الآخر خال لا سؤال معه، كقولك: (لأكرمتك كيف كنت) أي: على أي حال كنت.

والوجه الثالث: كيف بمعنى التعجب.. وقد تكون بمعنى النفي... وتكون توبيخا..."[1]

ويفهم من هذا أن كيف تكون:

–للسؤال عن حال نحو قولك: (كيف حالك)؟

– خالية من السؤال نحو: (لأحسنت إليك كيف كنت).

– أنها تكون بمعنى التعجب نحو: (كيف حدث هذا؟!

– أن كيف تكون بمعنى النفي نحو قوله تعالى: «كيف يكون للمشركين عهد عند الله» [التوبة: 7] أي: أنه ينفي وجود عهد للمشركين عند الله تعالى.

– أن تكون توبيخا نحو قوله تعالى: «وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله» [آل عمران:101]

وتجدر بنا الإشارة إلى أن الإجابة عن كيف تختلف؛ إذ إنّ جوابها لا يكون إلا نكرة عكس باقي أخواتها وهذا ما أكده ابن يعيش بقوله: "ولا يكون جوابها إلا نكرة وجواب أخواتها يكون معرفة ونكرة فإذا قلت: كيف زيد؟ فيقال: (صالح أو سقيم ولا يقال: الصالح"[2]

–**كم:** اسم استفهام يستفهم به عن العدد كقولك: (كم كتابا قرأت)؟ أي: عدد الكتب التي قرأتها.

---

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة، ص 243

[2] ابن يعيش، شرح المفصل، ص 243

-**أي:** اسم استفهام يستعمل في" تمييز أحد المتشاركين في أمر يهمهما. كما في قوله تعالى: «أي الفريقين خير مقاما» [مريم: 73]

ويسأل بها أيضا عن تمييز الزمان أو المكان أو الحال أو العدد وكذا عن تمييز العاقل وغير العاقل فهي تكتسب معنى ما تضاف إليه "[1] أي: أن (أيّ) يستفهم بها في العديد من المواضع وأنها تكتسب معنى ما تضاف إليه نحو:

-الزمان: نحو: (في أيّ يوم يكون موعد الملتقى)؟ أي: زمن الملتقى.

-المكان: نخو: (في أيّ مكان)؟

- الحال: نحو: (على أيّ حال تركت أباك)؟

- العدد: نحو: (إلى أي عدد تصبو)؟

- تمييز العاقل: نحو: (أي الولدين أكبر سنا)؟

- تمييز غير العاقل: نحو: (أي طريق سلكت)؟

3. أغراض الاستفهام: قسّم علماء اللّغة أغراض الاستفهام قسمين؛ استفهاما حقيقيا وآخر مجازيا.

ب-الاستفهام الحقيقي: وهو الاستفهام الذي يطلب منه المعرفة بخصوص أمر ما يكون مجهولا؛ أي أن المتكلم يطلب من السامع أن يعلمه بأمر يعد بالنسبة إليه مجهولا، ونجد بأنه ينقسم قسمين اثنين هما:

-**الاستفهام التصوري:** وهو الذي يطلب به تعيين شيء من الشيئين اللذين يكون السائل مترددا بشأن أي منهما نحو: (أزيد سافر أم خالد)؟ وأدواته الهمزة إضافة إلى أسماء الاستفهام.

-**الاستفهام التصديقي:** وهو الاستفهام المراد منه إثبات نسبة أو أمر ما أو نفيه وتكون الإجابة هنا ب بلى أو بنعم ولا. وأدواته الهمزة وهل.

[1] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة، ص126.

ب-الاستفهام المجازي: ويسمى أيضا الاستفهام البلاغي" وهذا النوع من الاستفهام لا يقصد به الاستفهام بعينه وإنما يراد منه قصد آخر غير الاستفهام." [1] أي: أن القصد منه يكون بلاغي مجازي وليس استفهام حقيقي، ونجد أنّ هذا النوع من الاستفهام كان له حضور واسع في القرآن الكريم؛ إذ نجد أن الاستفهام يخرج عن أصله اللغوي إلى أغراض بلاغية نذكر منها:

-**التوبيخ:** يخرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلي المجازي الذي يفيد التوبيخ "حين يكون المستفهم عنه مستقبحا حصوله" [2] أي: أن ما بعد الاستفهام وأن من يقوم به يستحق اللوم والتوبيخ نحو: (لماذا فعلت هذا)؟

-**الإنكار:** هو إنكار المستفهم عنه ويتمظهر في صورتين:

أ-**الإنكار الإبطالي:** أي" أن ما بعد الاستفهام غير واقع و لا وجود له "[3]نحو قوله تعالى « أصطفى البنات على البنين» [الصافات: 153].

ب-**الإنكار التوبيخي:** وهو عكس الإبطالي؛ أي: أن ما بعد أداة الاستفهام يكون واقعا لكنه يكون مستقبح نحو قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ [الكهف: 74]

-**التشويق:** حين يكون الغرض من الاستفهام تشويق المخاطب إلى أمر ما نحو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف:10] فالغرض من السؤال هنا ليس لطلب الجواب؛ بل للتشويق.

-**الفخر:** وذلك حين يكون الأمر المستفهم عنه أمرا عظيما يفتخر به.

---

[1] اسماعيل شعلان مشرف المحمد، الاستفهام في القرآن الكريم-استفهام الملائكة حول خلافة الانسان أنموذجا ص32.

[2] عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القران الكرين غرضه- إعرابه، ط1، 1421-2000، مطبعة الشام، ص18.

[3] المرجع نفسه، ص33.

-**التّقرير**: يخرج الاستفهام إلى غرض التقرير حين" يطلب من المخاطب الإقرار بما بعد فمثال النوع الأول قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء:62]. نجد أن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا يريدون منه هنا أن يعترف ويقر بأنه هو من قام بكسر الأصنام.

- **التّمني**: حين يكون ما بعد الأداة (هل) بعيدا أو مستحيلا "[1] مثال هذا ما ورد في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: 53] فالاستفهام هنا خرج إلى غرض التمني؛ إذ يتمنون وجود شفعاء ليشفعوا لهم.

-**التّهويل والتّعظيم**: حين يراد تبيان مدى هول وعظمة الأمر المستفهم عنه كما ورد في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ ﴾[القارعة: 1-2] وفي قوله تعالى أيضا: ﴿الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: 1-2].

حيث نجد أن الله تعالى يبين لنا مدى هول وعظمة يوم القيامة.

- **التحسر والتوجع**: نجد أن الاستفهام يخرج إلى غرض التحسر والتوجع حين يريد المتكلم تبيان مدى تحسره وتوجعه عن المستفهم عنه.

- **التّحقير**: "حين يكون المستفهم عنه وضيعا لدى المتكلم نحو:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ** أطنين أجنحة الذباب يضير"[2]

-**التّعجب**: يخرج الاستفهام إلى غرض التعجب حين يكون الامر المستفهم عنه مثيرا للعجب والدهشة من طرف المتكلم، فالتعجب في مفهومه هو: "استعظام أمر ظاهر المزية، خافي السبب، وإذا خرج من أسلوب النحو السماعي والقياسي إلى الاستفهام فإنما يراد به المبالغة في إظهار التعجب"[3]؛ أي: أن التعجب إذا خرج من أسلوب النحو السماعي

[1] عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القران الكرين غرضه- إعرابه، ص17.

[2] المرجع نفسه، ص18.

[3] اسماعيل شعلان مشرف المحمد، الاستفهام في القران الكريم، ص32.

والقياسي إلى أسلوب الاستفهام فنجد أنّ الغرض منه هو المبالغة في التعجب وذلك كون الأمر المستفهم عنه مثيرا للعجب والدهشة، نحو ما ورد في قوله تعالى:﴿ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ [النمل: 20]

نجد أن سؤال سيدنا سليمان عليه السلام هنا فيه تعجب من غياب الهدهد الذي كان لا يغيب عنه إلا بإذنه وأنه عندما لم يره تعجب من غيابه.

-**الاستبطاء**: يخرج الاستفهام من غرضه الاصلي ليفيد معنى الاستبطاء " حين يراد التعبير عن الشعور باستبطاء حصول المستفهم عنه "[1] أي: أنه عدّ الشيء بطيئا في وقت انتظاره نحو قوله تعالى:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: 214] وذلك لأنهم كانوا يرون النصر أمرا بعيدا .

-**النفي**: يخرج الاستفهام أيضا الى غرض النفي حين يراد نفي ما بعد أداة الاستفهام أي نفي ما بعد الأمر المستفهم، نحو قوله تعالى: «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه» سورة البقرة- الآية- 255-

-**التهكم**: ويسمى أيضا بالسخرية وهو:" إظهار عدم المبالاة بالمتهكم به ولو كان عظيما "[2]ومثال هذا ما ورد في قوله تعالى:﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود: 87]. فالقصد من الاستفهام هنا هو السخرية من شعيب عليه السلام؛ لأنه كان كثير الصلاة.

-**الوعيد**: أو ما يسمى أيضا بالتهديد والتخويف؛ إذ نجد القصد منه هو التخويف بغية التأديب مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ [الفجر: 6]

---

[1] اسماعيل شعلان مشرف المحمد، الاستفهام في القران الكريم، ص17.

[2] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص104.

-**النهي**: و يمكن تعريفه بأنه:" طلب الكف عن فعل الشيء على وجه الاستعلاء "[1] وكمثال على هذا نورد ما جاء في قوله تعالى:« أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ » [التوبة: 13] أي لا تخشوهم؛ لأن الله أحق بأن نخشاه.

ثالثا: الاستفهام والتّحليل التّداوليّ: سنحاول هاهنا تبيان العلاقة التي تربط بين الاستفهام كونه مبحثا من مباحث التركيب وكذا التّحليل التداولي الدي يرتكز على التفاعل بين المتكلّم والسامع.

1- قصديّة الاستفهام من منظور تداوليّ:

يقول (السكاكي) في مصطلح الاستفهام:" والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن، إما أن يكون حكما بشيء على شيء أو لا يكون. والأول هو التصديق ...و الثاني هو التصور "[2] والمقصود من هذا القول أن الاستفهام هو طلب الفهم والاستعلام من المتكلم قصد معرفة ما يدور في ذهن المستمع، وقد ذكر (السكاكي) في هذا القول أنّ هناك نوعين من المطلوب في الذهن، الأول القصد بالسؤال منه الوصول إلى حكم بالإثبات أو النفي وهو ما أطلق عليه اسم التصديق، وأما الثاني؛ فالقصد بالسؤال منه هو معرفة الشيء وتصوره ومعرفة معناه وهذا ما أطلق عليه اسم التصور.

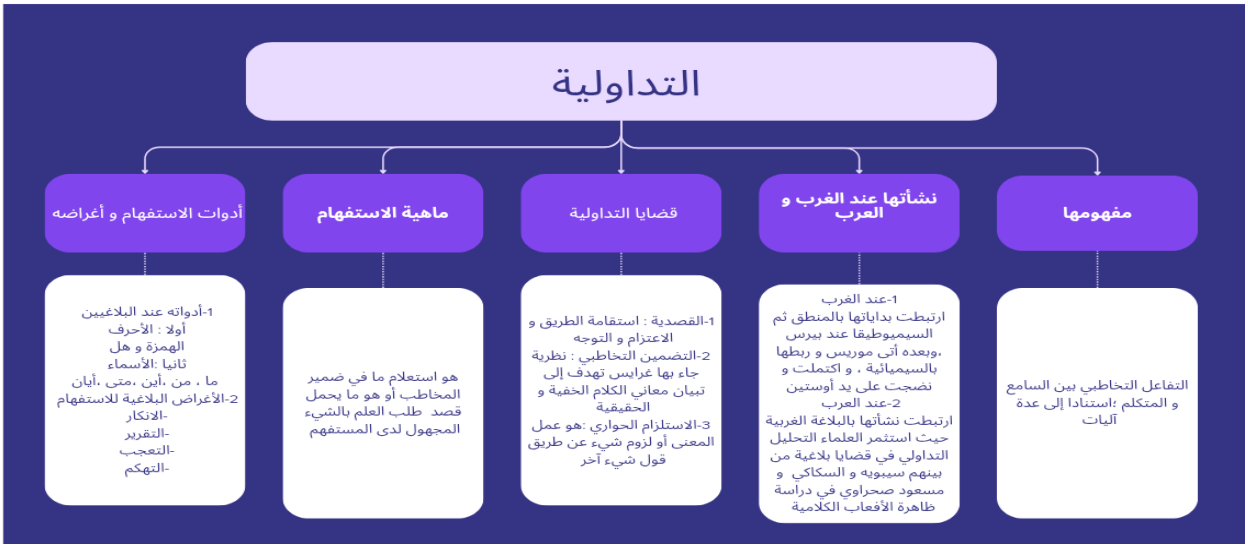

[1] عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 107.

[2] فريدة بن فضة، الاستفهام عند السكاكي _ دراسة تداولية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص 119

الفصل الثّاني:

قصديّة الاستفهام وتداوليته في تفسير روح المعاني

أولا: توصيف لكتاب روح المعاني

ثانيا: قصديّة الاستفهام في الجزء الأوّل (سورة البقرة)

أوّلا/ توصيف لكتاب (كتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني):

1- معلومات الكتاب: في هذا الجزء سنبين معلومات تعتور الكتاب في الترسيمة الآتية[1]:

الشّكل رقم1: معلومات كتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع

2- السّيرة الذّاتية: هو أبو الثناء شهاب الدين، محمود بن عبد الله بن محمود درويش الحسيني البغدادي الآلوسي، من أهل بغداد ولد سنة (1217هـ_1802م) بجانب الكرخ ببغداد، وهو من الأسرة الآلوسية المشهورة بالعراق، والتي نبغ فيها علماء وأدباء ذاع صيتهم في الآفاق. وينتهي نسبه الشريف من جهة أم أبيه إلى الأمام الحسن رضي الله عنه ومن جهة أبيه إلى الإمام الحسين رضي الله عنه وقد ذكر هذا في نهاية تفسيره لسورة

[1] الآلوسي، وجهة الكتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

الشعراء حيث قال: "وأنا أحمد الله كما هو أهله على أن جعلني من الفائزين بالنسبين وجعلني من ذرية سيد الكونين ﷺ"تتلمذ على يد والده أولا حتى استوفى الغرض من علم العربية وحفظ طرفا جليلا من الفقه الحنفي والشافعي، وطرفا من الكتب الحديثة، ثم سلمه والده إلى شيوخ علماء العراق، فقرأ عليهم واستجازهم في علوم اللغة والدين والآداب، ومن شيوخه علاء الدين علي بن يوسف الموصلي الحنفي و قد كان أخص تلاميذه، وعلي بن محمد سعيد السويدي محدث العراق، وعبد العزيز بن محمد الشواف والمعمر يحيى المزوري العماري البغدادي ومن شيوخه أيضا أبو الضياء خالد بن حسن النقشبندي العثماني المجددي الكردي الشهرزوري الشهير بالحضرة، خاتمة أئمة الطريقة النقشبندية. وقد جمع كثيرا من العلوم حتى أصبح علامة في الفروع والأصول، ومفسرا لكتاب الله عالما باختلاف المذاهب، مطلعا على الملل والنحل وكان رحمه الله في غاية الحرص على تزايد علمه وتوفير نصيب منه ، كما حكى عن دأبه في علم التفسير في مقدمة (روح المعاني) حيث قال: "لم أزل متطلبا لاكتشاف سره المكتوم، مترقبا لارتشاف رحيقه المختوم" الآلوسي حنفي المذهب، اشتغل بالتدريس و التأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، كان رحمه الله خطيبا مصقعا فريدا في وعظه وخطبته، يقول الحق ولا يحيد عن الصدق، قُلدَ الإفتاء في الحنفية سنة 1248ه قبل ذلك بأشهر ولي أوقاف المدرسة المرجانية، وفي شوال 1263ه انفصل من منصب الإفتاء وبقي مشتغلا بتفسير القرآن الكريم الذي بدأه في شعبان 1252ه وهذا ما ذكره في مقدمة تفسيره وانتهى منه في ربيع الآخر سنة 1267ه كما ذكر في خاتمته، ومن أبرز أعماله :(إنباء الأنباء بأطيب الأنباء) وهي وصية لأولاده طبعة بكربلاء، (دقائق التفسير) (النفحات القدسية في مباحث الامامية) في الرد على الشيعة، (نزهة الألباب و غرائب الاغتراب في الذهاب والإقامة والإياب)، (كشف الطرة عن الغرة) شرح درة الغواص للحريري، (الفوائد السنية في علم آداب البحث على مير الحنفية) (الطراز المذهب) في شرح قصيدة باز الأشهب ، (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني).

توفي الألوسي رحمه الله يوم الجمعة في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة (1270هـ_1854م) ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي في كرخ وكانت وفاته خسارة للأمة الإسلامية، وقد رثاه الأدباء و الشعراء كما مدحوه في حياته، منهم عبد الباقي أفندي العمري.

3- منهج الآلوسي في كتابه: إن للإمام شهاب الدين أبي الثناء محمود الألوسي (ت 1270هـ) منهجا خاصا في تفسيره للقرآن الكريم، وهذا ما يتضح من خلال كتابه: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)؛ إذ نجد بأنه قد " انتهج... في تفسيره منهج المحققين المدققين من العلماء وأهل التفسير"[1]؛ إذ راح يفسر الآيات القرآنية من خلال تبيان معانيها و الوجوه البلاغية التي تضمنتها مع إبراز ما فيها من إعجاز.

كما نلحظ أنه قد اعتمد أثناء تفسيره على مجموعة من الكتب من بينها كتاب (الكشاف) للزمخشري مستعينا بحواشيه، وهذا واضح من خلال ذكره لكتاب الكشاف في طيات صفحاته، كما اعتمد أيضا على كتاب" (أنوار التنزيل) للبيضاوي... إضافة إلى تفسير أبي السعود الذي انتهج في مؤلفه طريقتهما" [2] أي إنه اعتمد على الطريقة نفسها في تفسيره للآيات القرآنية.

وحري بالذكر أيضا أنه قد اعتمد على تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي وهذا راجع لإشارته إليه أثناء التفسير.

وأمّا بخصوص منهجه وطريقته في التفسير؛ فنلحظ أنه قد انتهج منهجية واحدة وطبقها على جميع السور والآيات والمتمثلة في:

---

[1] شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ط3. دمشق _الحجاز: 2015، دار الرسالة العالمية، مج 1، ص6

[2] الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص8.

-في البداية يقوم بتبيان إذا ما كانت السورة مكية أم مدنية من خلال الاعتداد بمكان نزولها مع إعطاء الحجة والدليل على مكّيتها أو مدنيتها، إضافة إلى إعطاء أقوال المفسرين فيها.

-ذكر عدد آيات السورة والاختلاف الحاصل بين المفسرين في عدد الآيات بين أهل الكوفة والبثرة والحجاز.

-ذكر سبب نزول السورة أو المناسبة التي نزلت فيها الآية.

- ذكر سبب تسميتها بذلك الاسم وقد يشير في بعض السور إلى اختلاف تسميتها عند اهل الذكر نحو سورة البقرة، سورة المائدة...

-ذكر علاقة السورة بالسورة التي قبلها أو السور التي سبقتها كعلاقة سورة البقرة بسورة الفاتحة.

- ذكر اختلاف وتنوع القراءات للكلمة الواحدة لدى القراء نحو كلمة (ننسها) في سورة البقرة، إضافة إلى أنه "يعنى بذكر المناسبات بين السور، ويربط معاني فاتحة كل سورة بخاتمة التي قبلها، كما يعنى بذكر المناسبات بين الآيات و يقارن بين الآيات التي في ألفاظها تشابه"[1] أي ذكر المتشابهات الواردة في القرءان الكريم.

- كما يسعى لتبيان الحكمة من اختيار لفظ دون غيره بالرغم من أن لهما نفس المعنى إضافة إلى حذف حرف أو استبداله بحرف آخر والمعنى الناتج نحو (بكة، مكة).

- ذكر الحكمة الخفية من تقديم كلمة على أخرى أو تأخيرها. نحو ما ورد في قوله تعالى:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]

وهذا ما يحيل إلى سعيه إلى تبيان الوجوه البلاغية للآية وما فيها من إعجاز.

[1] الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص11.

-ولا ننسى ذكره لآراء وأقوال السلف حول تفسير آية أو كلمة مثلا؛ إذ نجد بأنه يرجح قولا تارة ويؤيده تارة أخرى أو يضعفه تارة أخرى.

-في نهاية تفسيره و شرحه يقوم بإعطاء تفسير إشاري للآيات، " و ذكر ما في ظاهرها من المعاني، يتكلم عما يتأول منها من باب الإشارة "[1] أي أنه يذكر الوجه الظاهر وما استلزمته الآية ثم يحاول الإشارة إلى المقصد منها و تأويلها.

-يتميز أسلوبه بالوضوح والدقة في شرح وعرض التفسير وبأسلوب لا يمل منه.

وتجدر الإشارة إلى " ما يحفل به هذا التفسير من الأحاديث و الآثار الكثيرة التي تدل على اهتمام مصنفه بالتفسير المأثور، وعدم إهمال أقوال السلف رضي الله عنهم و ما ورد عنهم من تفسير لآيات الكتاب الكريم " [2]

-" كما أن المصنف كلما سنحت له الفرصة يعرج على مسألة من مسائل العقيدة فيشبعها دراسة (مثل كلامه.. في أن القرآن الكريم كلام الله غير مخلوق)، أو يستطرد إلى الكلام في الأمور الكونية، ويذكر كلام أهل الهيئة وأهل الحكمة ويقر منها ما يرتضيه ويفند ما لا يرتضيه " [3]

ملحوظة: تجدر الإشارة إلى أن تسمية الكتاب بـ (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) لم تكن من قبل الإمام الألوسي رحمه الله، وإنما سماه" الوزير علي رضا باشا [4]" وهذا لأنه عندما انتهى من تأليفه راح يبحث عن اسم يوفيه حقه، فعرض الأمر على الوزير الذي أعطاه اسما، كما تجدر الإشارة إلى التوافق بين عنوان المؤلَّف ومضمونه؛ إذ راح يفسر الآيات القرآنية ويذكر المناسبة بين سورة وسورة وسبب النزول وغيرها من الأمور، إضافة إلى تبيان مواضع الإعجاز القرآني.

---

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص9.

[2] المصدر نفسه، ص9.

[3] المصدر نفسه، ص10.

[4] المصدر نفسه، ص11.

ثانيا / قصديّة الاستفهام في سورة البقرة:

من خلال التمعن في كتاب روح المعاني للآلوسي سنحاول استخراج بعض الآيات من الجزء الأول المتضمنة لأسلوب الاستفهام، ومحاولة تبيان مقاصدها البلاغية والتداولية والمقاربة بينه وبين تفاسير أخرى نحو: البحر المحيط وصفوة التفاسير والتحرير والتنوير.

﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13]

نلحظ في الآية أن تركيب الاستفهام ورد بنمط (الحرف +الفعل) ((الهمزة+ الفعل نؤمن)؛

إن المتمعن في الآية يلحظ أن الاستفهام له تداوليته التي تناسبت مع السياق الوارد في الآية؛ إذ إن تداولية الاستفهام كما يرى المفسر الآلوسي تفيد الاستفهام الإبطالي ؛أي إبطال ما وقع فيه السفهاء وهذا يتناسب مع سياق الآية ودلالتها؛ حيث يقول:" لا يكون ذلك أصلا فالهمزة للإنكار الإبطالي"[1] فيستلزم الاستفهام الانكاري الإبطالي تداولية الاختصاص للناس الذين قصدهم القرآن الكريم؛ حيث إن التضمين التخاطبي استدعى كل الناس "المتقدمين أو الجنس بأسره، وأولئك الكرام والعقلاء الفخام داخلون فيه بزعمهم الفاسد دخولا أوليا " [2]

ويذكر السمين الحلبي تداولية الاستفهام في قوله (أنؤمن) على أنه يقصد به الاستهزاء أي السخرية من الكفار الذين أبوا الإيمان، وكأن هذا النوع من الاستفهام استلزم حوارا يقصد به الاستهزاء وليس الإبطال كما رأى الألوسي؛ حيث يقول " والهمزة في أنؤمن للإنكار والاستهزاء... بحيث إذا قيل السفهاء فهم ممن ناس مخصوصون"[3] وهي إشارة إلى التوافق الحاصل بين الحلبي و الآلوسي في تداولية الاستفهام المسبوقة بالهمزة ؛ إذ كلاهما اقترنا بالسياق الخاص بـ: الناس المخصصون، أضف إلى الوصف لأولائك الكفار.

---

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص441

[2] المصدر نفسه، ص441

[3] أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تح، أحمد محمد الانخراط، دمشق: 2006، دار القلم، ج1، ص 143

وفي الآية التي تليها في الرقم: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾[البقرة: 26] يلحظ أن تركيب الاستفهام ورد بنمط [الاسم+ الفعل] [ماذا +الفعل أراد]؛ حيث إن الناضر في الآية يلحظ أن الاستفهام له تداولية تناسبت مع السياق الوارد في الآية إذ إن تداولية الاستفهام كما يرى المفسر الآلوسي تفيد الاستفهام لعدم العلم أو الإنكار؛ أي إثبات شدة جهل الكفار و المبالغة في ذمهم و هذا ما يتناسب مع سياق الآية وتداوليتها حيث يقول:" وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليقابل سابقه؛ لما في هذا من المبالغة في ذمهم، والتنبيه بأحسن وجه على كمال جهلهم؛ لأن الاستفهام إما لعدم العلم، أو الانكار، وكل منهما يدل عل الجهل دلالة واضحة"[1] حيث يستلزم الاستفهام الانكاري تداولية الاختصاص للمشركين أو اليهود بناء على ما سلف في سبب نزول الآية حيث استدعى التضمين التخاطبي إشارة " إلى أن المؤمنين اكتفوا بالخضوع والطاعة من غير حاجة إلى التكلم، والكافرون لخبثهم وعنادهم لا يطيقون الإسرار؛ لأنه كإخفاء الجمر في الحلفاء"[2] .

وميسم قول الآلوسي أن الاستفهام الذي ورد في الآية بالتركيب النحوي الآتي (ماذا أراد) يستلزم غرض الإنكار ويستدعي تضمينا تخاطبيا يتناسب مع مقام الآية وهو دهشة وعناد وخبث الكفار والمشركين.

ومن هنا نستنتج أن الاستفهام الذي يرد بنمط [الاسم ماذا+ الفعل] يستلزم قصد الانكار ويتضمن غرض العناد والخبث.

وأما (الطاهر بن عاشور)؛ فيذكر أنّ تداولية الاستفهام في قوله: (ماذا أراد) على أنه يقصد به الانكار؛ حيث قال: "والاستفهام هنا انكاري؛ أي جعل الكلام في صورة الاستفهام كناية به عن الانكار؛ لأنّ الشيء المنكر يستفهم عن حصوله، فاستعمال الاستفهام في

[1] الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص64

[2] المصدر نفسه، ص64

الانكار من قبيل الكناية، ومثله لا يجاب بشيء غالبا لأنه غير مقصود به الاستعلام "[1] ومن قول الطاهر بن عاشور نلحظ (أ) الاستفهام الذي ورد في الآية يستلزم غرض الانكار وقد أتى في صورة الكناية لأن الشيء المنكر يستفهم عنه عن طريق الكناية؛ لأنّ القصد منه ليس الاستعلام وإنما يتضمن معنى آخر وهو تحقير الكفار بسبب عنادهم وخبثهم من هذا نستنتج أن الاستفهام هنا يستلزم حوارا يقصد به الانكار ويتضمن معنى التحقير في كلمة "هذا" ففيها استحقار للمشار إليه أو تعظيم بحسب مقام الآية.

والبيّن مما ذهب إليه الطاهر بن عاشور أنّ هناك إشارة إلى التوافق الحاصل بينهما في تداولية الاستفهام المسبوقة باسم الاستفهام (ماذا) إذ اقترنت بالسياق وسبب نزول الآية ومن هذا نستنتج أنّ الاستفهام المقترن بـ(ماذا) له قصد الانكار والتحقير. أما في صفوة التفاسير فالاستفهام يستلزم الانكار ويتضمن معنى الدهشة لقول محمد علي الصابوني :" وأما الذين كفروا فيتعجبون"[2] .

والحري بالذكر من قول الصابوني أن الاستفهام يتضمن معنى التعجب والدهشة التي اعتلت وجوه الكفار والآن ننتقل إلى آية أخرى نعرض فيها آية أخرى للاستفهام وهي كالآتي:

قال تعالى:﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28] إن المتمعن في قوله تعالى يلحظ أن أسلوب الاستفهام قد ورد وفق تركيب نحوي معين إذ تمثل في: [اسم الاستفهام (كيف)+ الفعل (تكفرون)].

يتبيّن من هذا التركيب أن له دلالةً تناسبت مع السياق الذي وردت فيه الآية؛ حيث نجد بأن الله سبحانه وتعالى أورد الفعل بصيغة المضارع " ولم يأت بالماضي وإن كان الكفر قد وقع منهم؛ لأن الذي أنكر الدوام والمضارع هو المشعر به "[3] أي أن القصد من تصريف الفعل (تكفرون) في المضارع هو إنكار دوام كفرهم، وهذا ما يحيل أن لهذا الاستفهام تداولية

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير. تونس: 1984، الدار التونسية للنشر، ج1، ص364_365

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط1. القاهرة: 1997، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ص38

[3] الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 75

الاستخبار مع الانكار والتعجيب وهذا حسب الإمام الالوسي؛ إذ يقول:" كيف... هي هنا للاستخبار منضما إليه الإنكار والتعجيب لكفرهم بإنكار الحال الذي له مزيد اختصاص بها وهي العلم بالصانع والجهل به، ألا يرى أنه ينقسم باعتبارهما فيقال: كافر معاند و كافر جاهل... وأن كفرهم عن عناد"[1].

والواضح من هذا القول إن التركيب الذي ورد على وفقه أسلوب الاستفهام قد ورد في مقام الكفر بالله، ومنه يمكن القول بأن هذا الاستفهام قد استلزم تداولية الإنكار المتمثلة في إنكار الحالة التي كانوا عليها–المنافقين– وعلى دوام كفرهم والتعجب كون كفرهم ناتج عن عناد وليس عن جهل وذلك لأنهم كفروا بالله في علمهم وفي جهلهم وبالأخص أنهم كانوا أمواتا ثم أحياهم الله، وأمر الاستخبار فلا يعني جهل المستخبر بل لتنبيه المخاطبين وتوبيخهم؛ أي: إن الهدف من الخطاب هو تنبيه المنافقين وتوبيخهم.

وأما بما يخص التضمين التخاطبي فنجد بأن الخطاب غير مرتبط بالمنافقين (الكفار) فقط، وأنه موجه للمؤمنين أيضا وهذا ما يتضح من قول الالوسي: "ويحتمل... أن يكون الخطاب في الآية للمؤمن والكافر، فإنه سبحانه... بين دلائل التوحيد... ودلائل النبوة ووعد «وبَشّر الذِينَ ءَامَنُوا» ... أكد ذلك بأن عدد عليهم النعم.. واستقبح صدور الكفر مع تلك النعم منهم توبيخا للكافر وتقريرا للمؤمن " [2] أي أن هذا الخطاب غير موجه للكافرين فقط بل يشمل المؤمنين أيضا وأن الله سبحانه وتعالى عدد النعم التي أنعم بها على الناس وأنه استقبح الكفر مع تلك النعم.

وميسم القول من قول الألوسي: أنّ للآية سياقا تمثل في الإنكار مع التعجيب، وهذا ما تولد عنه تركيب نحوي مهين تمثل في [اسم الاستفهام (كيف)+ الفعل المضارع (تكفرون)]

[1] الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص 74.

[2] المصدر نفسه، ص77.

وأن لهذا التركيب مقام معين تمثل في الكفر بالله بعد تعداد النعم وأن المقصد منه هو التوبيخ.

وفي تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور نجد بأنه قد اتفق مع الإمام الالوسي في تداولية الاستفهام في قوله تعالى: «كيف تكفرون» وأن المقصد منه هو التعجيب والإنكار؛ لأن الخطاب في (تكفرون) "متعين رجوعه إلى (الناس) وهم المشركون؛ لأن اليهود لم يكفروا بالله ولا أنكروا الإحياء الثاني"[1] أي أن الخطاب يقصد المشركين لا اليهود وهذا راجع لعدم إنكار اليهود قضية الإحياء الثاني؛ أي الإحياء بعد الموت يوم البعث.

أما (الصابوني) فنجده يرى أن الاستفهام قد استلزم تداولية التوبيخ مع الإنكار أي؛ توبيخهم على كفرهم بالله بعد تعداد نعمه عليهم و أنهم قد كانوا في بطون أمهاتهم نطفا ثم أخرجهم إلى الدنيا وأنه سيميتهم ثم يعيد إحياءهم من أجل محاسبتهم؛ حيث قال في هذا الاستفهام:" هو من باب الالتفات للتوبيخ و التقريع، فقد كان الكلام بصيغة الغيبة ثم التفت فخاطبهم بصيغة الحضور وهو ضرب من ضروب البديع "[2] أي أن الكلام كان بصيغة الغائب وهذا واضح من خلال الآيات التي سبقت هذه الآية نحو قوله:« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه» [البقرة– 27] ثم انتقل و خاطب بصيغة الحاضر نحو:(كيف تكفرون بالله). وفي الآية نفسها والاستفهام ذاته نجد أيضا أبو حيان الأندلسي الذي يرى بأن الاستفهام في (كيف تكفرون) استفهام عن حال صحبه معنى التقرير والتوبيخ إضافة إلى معنى الإنكار والتعجب؛ أي: أن الله سبحانه وتعالى بقدرته وعظمته في الإحياء والإماتة لا يحق أن يُكفر به.

[1] محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص373.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص39.

كما يرى بأن:" الإنكار بالهمزة إنكار لذات الفعل و بكيف إنكار لحاله وإنكار حاله إنكار لذاته؛ لأن حاله لا تخلو من حال يقع فيها فاستلزم إنكار الحال"[1] والواضح من قول الأندلسي أن كيف قصد بها إنكار الحال ولكن المقصد الحقيقي هو إنكار وقوع الكفر في حد ذاته. ومما سبق يمكن القول بأن جميع المفسرين الذين تم التطرق إليهم قد اتفقوا حول رأي واحد حول تداولية الاستفهام في قوله تعالى (كيف تكفرون)؛ إذ قالو بأنه قد استلزم تداولية الإنكار مع التعجب إضافة إلى التوبيخ والتقرير. سنحاول من خلال عرض آية أخرى كنموذج تبيان الاستفهام الوارد فيها:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30]

والبين من قوله تعالى أن نمط الاستفهام قد ورد بتركيب نحزي معين؛ متمثلا في [الحرف (الهمزة)+الفعل (تجعل)] ونجد المفسرين قد اختلفوا في تفسير كلمة (الجعل) الواردة في الآية الكريمة، وأنهم قد جعلوا فيها قولين اثنين: "أحدهما: أنه بمعنى الخلق... والثاني أنه بمعنى التصيير... أي مصير في الأرض خليفة.." [2] أي أنّ الجعل في الآية الكريمة قد يكون بمعنى الخلق أو بمعنى التصيير إلا أن القول الراجح و المعتمد هو القول الأول وهذا راجع إلى ما ورد في البحر المحيط بحيث يقول (أبو حيان الأندلسي): " وكلا القولين سائغ إلا أن الأول عندي أجود لأنهم قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) "[3] أي: الجعل المقصود في هذه الآية هو الخلق؛ أي خلق و جعل خليفة في الأرض. والجدير بالبيان أن لهذا الاستفهام تداولية تتناسب مع السياق؛ إذ تفيد تداولية هذا الاستفهام حسب الألوسي التعجب؛

[1] محمد بن يوسف الشهير ب أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، ج1، 1993 ص375.

[2] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص287–فما بعدها.

[3] المرجع نفسه، ص288.

أي "تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها من يفسد فيها أو يستخلف مكان أهل الفساد مثلهم أو مكان أهل الطاعة أهل المعصية"[1].

والبين من هذا أن التركيب الذي ورد فيه أسلوب الاستفهام المتمثل في (الهمزة + الفعل تجعل) قد ورد في مقام معين ألا وهو الفساد والمعصية وأنه لو تغير هذا التركيب لتولد لنا مقام تركيبي جديد مختلف.

ومنه يمكن القول بأن الاستفهام التعجبي قد استلزم تداولية التعجب من استبدال المصلحين بالمفسدين في الأرض بينما التضمين التخاطبي فقد ارتبط بـ" استكشاف الحكمة الخفية وعما يزيل الشبهة و ليس استفهاما عن نفس الجعل والاستخلاف؛ لأنهم قد علموه قبل فالمسؤول عنه الجعل لا باعتبار ذاته بل باعتبار حكمته و مزيل شبهته " [2]

وميسم القول من رأي (الألوسي) هو: أنّ للآية سياقاً محددا وهو التعجب، وهذا ما استلزم عنه تركيبا نحويا معينا تمثل في :(أ + تجعل). وأن هذا التركيب قد ورد في مقام معين ألا وهو: الفساد والمعصية، وأن مقصدية هذا التركيب تمثلت في إزالة الشبهة، وهذا المقصد إنما حدد سياق الآية من خلال نمط تركيبي محدد؛ إذ إن التراكيب اللغوية تحدد سياقها من خلال مقاماتها، وهذا بغية إحداث التواصل والتفاعل التخاطبي.

والأمر نفسه عند (الطاهر بن عاشور)؛ إذ وافق الإمام (الألوسي) في تداولية الاستفهام في (أتجعل) إذ المقصد منه التعجب متضمنا معنى الاستبعاد؛ أي تعجب الملائكة من كون أن هناك من سيستخلف في الأرض ليفسد فيها بالرغم من أن الغرض من خلقها هو صلاحها حيث يقول ابن عاشور: "دليل أنهم علموا أن مراد الله من خلق الأرض هو صلاحها وانتظام أمرها وإلا لما كان للاستفهام المشوب بالتعجب موقع وهم علموا مراد

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص92.

[2] المصدر نفسه، ص92-93.

الله؛ ذلك من تلقيهم عنه سبحانه أو من مقتضى حقيقة الخلافة أومن قرائن أحوال الاعتناء بخلق الأرض و ما عليها "[1].

وحري بالذكر أن ابن عاشور قد ذهب مذهب الألوسي في تداولية الاستفهام المتضمن لغرض التعجب؛ إذ يرى أن للتعجب غرضا خفيا متمثلا في الاستبعاد، وهذا بمقصد يحدثه السياق الذي نبّه عليه المفسرون. وأما في صفوة التفاسير فيرى (الصابوني) أن للاستفهام تداولية التعجب والاستعلام؛ أي أنّ تعجب الملائكة كان للاستعلام واستكشاف الحكمة الخفية من جعل خليفة في الأرض؛ حيث يقول: "وقول الملائكة... ليس... على وجه الاعتراض على الله ولا على وجه الحسد لبني آدم، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عين الحكمة في ذلك"[2] وقد حذا حذوهم أبو حيان الأندلسي قائلا: "بأنه استفهام على طريق الاستعظام والاكبار للاِستخلاف والعصيان وقيل هو استخلاف معناه التقرير" [3] .

من خلال ما سبق ذكره يمكن القول بأن جميع التفاسير التي تم التطرق إليها قد اتفقت على رأي واحد مع الإمام الألوسي ألا وهو أن أسلوب الاستفهام في (أتجعل) قد استلزم تداولية التعجب وأن هذا التركيب قد تضمن مقصدا خفيا تمثل في إزالة الشبهة والاستبعاد.

ومن خلال عرض اية أخرى سنجد بأن قصدية الاستفهام قد تغيرت، فمثلا لدينا الآية الآتية كنموذج: قال تعالى:« قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وماكنتم تكتمون» [البقرة:33]

فالواضح في هذه الآية أن مقصدية الاستفهام قد اختلفت عن النماذج التي سبق ذكرها وهذا راجع إلى مجيء الاستفهام وفق تركيب نحوي متضمن لحرف النفي (لم)؛ أي [الحرف

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص403.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص42.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص290.

(الهمزة)+ حرف النفي (لم) + الفعل (أقل)]. وهذا ما جعل الاستفهام يستلزم تداولية التقرير ذلك لأن النفي إذا دخل على الاستفهام قرره؛ أي: أصبح يفيد التقرير.

ونجد أن المقصد ب(الإنباء) و(الأسماء) في قوله تعالى هو: أن" الإنباء... الإعلام لا مجرد الإخبار... والمراد بالأسماء: ما عجزوا عن علمها، واعترفوا بالقصور عن بلوغ مرتبتها والضمير عائد على المعروضين " [1] أي: إنّ كلمة (أنبئهم) تجاوزت معنى اخبرهم إلى أعلمهم بأسمائهم، وأما الأسماء في كل ما عجزوا عن علمه و بلوغه.

ومنه يمكن القول إنّ ما استلزمه الاستفهام هو تبيان مدى قدرة الله سبحانه وتعالى وإحاطة علمه بكل شيء، وهذا ما عبر عنه الألوسي بقوله:".. كان الظاهر: أعلم غيب السماوات والأرض وشهادتهما وأعلم ما كنتم تبدون وما كنتم تكتمون وما ستبدون وما ستكتمون ". [2] أي أن سبحانه وتعالى عالم بكل شيء ومحيط به؛ فهو يعلم غيب السماوات والأرض وما هو ظاهر وما هو مكتوم، ونجد أنّ في هذا ضرب من الإطناب. وأما التضمين التخاطبي فهو متعلق بما في الآية من إيجاز؛ إذ يقول الألوسي:" ولا يخفى ما في الآية من إيجاز... و... وأنه سبحانه اقتصر على (غيب السماوات والأرض) لأنه يُعلم منه شهادتهما بالأَوْلَى واقتصر من الماضي على المكتوم؛ لأنه يعلم منه البادي... وعلى المبدأ من المستقبل؛ لأنه قبل الوقوع خفي " [3] وهذا ما يبين ما في الآية من إيجاز لأنه سبحانه وتعالى اقتصر على عبارة (غيب السماوات والارض) للتعبير عن مدى علمه بكل الغيبيات سواء كانت في الأرض أم في السماء، أنه تعالى ركز عل الكتم في الماضي لأنه يعلم البادي منه وعلى المستقبل لأنه قبل الوقوع خفي شأنه شأن باقي الأمور التي تكون في البداية سرا.

---

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1، مجلد 1، ص105-106.

[2] المصدر نفسه، ص106.

[3] المصدر نفسه، ص106.

والبين مما سبق هو أن تركيب (أ+ لم + أقل) له دور في تبيان المقام الذي وردت فيه الآية ألا وهو تبيان ندى قدرة الله ومدى إحاطة علمه بكل شيء.

وفي الآية نفسها نجد أنّ (ابن عاشور) قد وافق (الألوسي) في تداولية الاستفهام في (ألم أقل)؛ إذ يرى هو أيضا بأنه يفيد تداولية التقرير؛ لأن "ذلك القول واقع لا محالة والملائكة يعلمون وقوعه ولا ينكرونه، وإنما أوقع الاستفهام على نفي القول... لقصد التوسيع على المقرر؛ حتى يخيل إليه أنه يسأل عن نفي وقوع الشيء، فإن أراد... نفيه فقد وسع المقرر ذلك.. ولكنه... لا يستطيع إنكاره "[1] والمقصد من هذا أن الملائكة يعلمون أن الله تعالى يعلم كل شيء ولا ينكرون هذا القول وأن الاستفهام قد تضمن النفي بـ (لم) وذلك قصد التوسيع وحتى يخيل أنه يتم السؤال عن نفي وقوع الأمر لكن مع هذا لا يمكن إنكاره.

وأما صاحب صفوة التفاسير، فيرى بأن المقصد من قوله تعالى:(ألم أقل لكم) هو: "الاهتمام بالخبر والتنبيه على إحاطة علمه بجميع الأشياء "[2] أي إنّه استلزم عنه معنى لفت الانتباه من أجل الاهتمام بالخبر وحتّى يعلموا أن الله محيط بعلمه كل شيء. ونلحظ صاحب تفسير البحر المحيط قد اتّفق مع الألوسي وابن عاشور في تداولية الاستفهام المتمثلة في التقرير وأن المقصد من الخطاب هو: "تنبيههم بالخطاب وهزهم لسماع المقول"[3] أي من أجل لفت انتباههم وحثهم على سماع المقول.

وميسم القول إن جميع التفاسير المذكورة قد اتفقت على رأي واحد ألا وهو أن تداولية الاستفهام في قوله تعالى: «ألم أقل لكم» تمثلت في التقرير.

أما في قوله تعالى:﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44].

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص419.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص42.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص 290.

فأسلوب الاستفهام في هذه الآية له تركيب نحوي محدد تمثل في: [الحرف (أ)+الفعل(تأمرون)] إذ إن المتمعن في هذا التركيب النحوي يلمس الغاية من جعل الفعل في المضارع؛ حيث يمكن القول أنه: "أتى بالمضارع في (أتأمرون) وإن كان قد وقع ذلك منهم لأنه يفهم منه في الاستعمال في كثير من المواضع الديمومة وكثرة التلبس بالفعل وعبر عن ترك فعلهم بالنسيان مبالغة في الترك"[1] أي إن الفعل المضارع في هذه الآية كان القصد منه التعبير عن التلبس بفعل النسيان و ديمومته.

والبين أن لهذا الاستفهام تداولية تتوافق مع السياق الخاص بالآية؛ إذ إن تداولية هذا الاستفهام حسب (الألوسي) تفيد التقريع مع التوبيخ والتعجيب؛ أي تقريع و توبيخ اليهود والتعجيب من حالهم إذ كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم؛ حيث يقول الألوسي: " والهمزة فيه للتقريع مع توبيخ وتعجيب... وقد نزلت هذه الآية في أحبار المدينة... وقيل إنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى و ينهونهم عن معصيته وهم كانوا يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية والتوبيخ ليس على أمر الناس بالبر بل لمقارنته بالنسيان المذكور"[2] أي أن توبيخهم وتقريعهم غير مرتبط بقضية البر الذي نعني به" سعة المعروف والخير"[3]. بل مرتبط بقضية نسيانهم لأنفسهم إضافة إلى غفلتهم، وهذا يحيل إلى أن مقام هذه الآية مرتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما يفسر التركيب النحوي الذي ورد فيه الاستفهام (أ+ تأمرون). استلزم الاستفهام في هذه الآية التقريع مع التوبيخ والتعجيب الموجه إلى اليهود الذين يأمرون الناس بطاعة الله وهم يفعلون العكس؛ أي يبتعدون عن الطاعة ويقدمون على فعل المعصية. بينما في التضمين التخاطبي فنجد بأن الخطاب عام و يشمل كافة الناس وليس موجها لبني إسرائيل فقط، وهذا على حد قول الألوسي: "ثم إن هذا التوبيخ

[1] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص339.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1، ص151.

[3] المصدر نفسه، ص150.

والتقريع وإن كان خطابا لبني إسرائيل إلا أنه عام من حيث المعنى لكل واعظ يأمر ولا يأتمر ويزجر ولا ينزجر، ينادي الناس البدار البدار ويرضى لنفسه التخلف والبوار ويدعو.. إلى الحق وينفر من" [1].

والواضح من هذا: أن للآية سياقا محددا نتج عنه تركيا نحويا تمثل في (أ+ تأمرون) وأن هذا التركيب قد ورد في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن مقصديته تمثلت في: الغفلة إضافة إلى شدة النسيان والانغماس فيه. و في السياق ذاته يذكر صاحب كتاب التحرير والتنوير أن تداولية الاستفهام في (أتأمرون) يقصد بها التوبيخ مع التعجيب؛ أي توبيخ بني إسرائيل والتعجيب من حالهم، وهذا ما جعله يتفق مع الألوسي في الرأي ذاته من خلال قوله: " ينتقل... السؤال إلى التوبيخ و يتولد منه معنى التعجيب من حال الموبخ.. لأن الحالة التي وبخوا عليها حالة عجيبة لما فيها من إرادة الخير للغير وإهمال النفس " [2]

والجدير بالبيان أن (ابن عاشور) قد اتفق مع الألوسي في تداولية الاستفهام المتضمن لغرض التوبيخ مع التعجيب والذي يندرج ضمنن معنى خفي متمثل في الغفلة وإهمال النفس. ويرى أيضا صاحب البحر المحيط أن: "الهمزة للاستفهام وضعا وشَابَها هنا التوبيخ والتقريع لأن المعنى الإنكار عليهم و توبيخهم على أن يأمر الشخص بخير وينسى نفسه"[3] وفي السياق ذاته يشير إلى أن" التقريع و التوبيخ هنا لأجل المخاطبة. "[4] أي أن المفسر هنا قد أضاف معنا وغرضا أخر للاستفهام ألا وهو التقريع ؛ والذي نلحظ بأنه قريب من معنى التوبيخ و أن الفرق بينهما يظهر في كون التوبيخ بالكلام والتقريع يكون بالفعل، كما نجد أن (محمد علي الصابوني) قد اتفق في رأيه مع صاحب البحر المحيط؛ إذ يرى أن الاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ وهذا يظهر من خلال قوله: "يخاطب الله أحبار اليهود فيقول

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص151.

[2] الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص475.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص 338.

[4] المرجع نفسه، ص339.

لهم على سبيل التقريع والتوبيخ (أتأمرون) أي أتدعون الناس إلى الخير... ولا تفعلون الخير"[1] .

وفي [الآية 61] من سورة البقرة التي قال فيها الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: 61] نلحظ أن التركيب الذي جاء وفقه أسلوب الاستفهام تمثل في [الحرف(الهمزة)+ الفعل (تستبدلون)]

فالواضح أن كلمة (تستبدلون) قد تضمنت بعضا من حروف الزيادة المتمثلة في (تست..) والتي تدل في العادة على الطلب؛ أي طلب تبديل ما لديهم بشيء آخر، وهذا ما يفسر كون الاستفهام متضمنا لتداولية الإنكار والاستبدال والاعتياض.

والبين أن لهذا التركيب توافق مع مقام الآية المتمثل في تعداد النعم، وهذا يحيل إلى أن الظاهر من الخطاب أو ما استلزمه الاستفهام "داخل في تعداد النعم وتفصيلها... مع استحقاقهم كمال السخط لأنهم كفروا نعمة إنزال الطعام اللذيذ عليهم وهم في التيه من غير كد و تعب"[2].

ومحصّلة القول إن الخطاب يدرج في مقام تعداد النعم؛ إذ طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعوا الله ليخرج لهم من الأرض العدس، البصل... وغيرها من المأكولات و هذا ما يحيل إلا غفلتهم، وأنهم قد كفروا نعمة إنزال الطعام اللذيذ عليهم المتمثل في المن و السلوى من غير تعب، وأن" خطابهم بهذا إشارة إلى أنه تعالى إذا أعطاهم ما سألوا منع عنهم المن

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص47.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1، ص 203.

والسلوى فلا يجتمعان، وقيل: الاستبدال في المعدة"[1] أي: أن الله سبحانه وتعالى إذا أعطاهم ما طلبوا من بصل وعدس وغيرهم لمنع عليهم ما كانوا يأكلون (المن و السلوى).

وأما التضمين التخاطبي فهو يدل على" كراهتهم ذلك الطعام وعدم الشكر على النعمة دليل على الزوال فكأنهم طلبوا زوالها ومجيء غيرها "[2] والبين من هذا كفرهم بالنعمة التي كانت لديهم وعلى عدم شكرهم وسخطهم عليها لهذا طلبوا زوالها ومجيء غيرها.

وأمّا بما يخصّ الطاهر بن عاشور فنجد بأنه يرى بأن للاستفهام تداولية التعجب والتوبيخ وذلك من خلال طلب قوم موسى استبدال النعم التي أنعم الله عليهم بها بنعم أخرى وهذا بسبب سخطهم، كما نلحظ أن في كلمة" تستبدلون: السين والتاء فيه لتأكيد الحدث وليس للطلب"[3]

وقد اتفق مع الألوسي في كون المقام مقام تعداد النعم إضافة إلى تعبير قوم موسى على كراهتهم لطعام المن والسلوى، إذ يظهر في خطابه" انتقال من تعداد النعم المعقبة بنعم أخرى... بيان سوء اختيارهم في شهواتهم... مع ما في صيغة طلبهم من الجفاء وقلة الأدب... إذ قالوا لن نصبر فعبروا عن تناول المن والسلوى بالصبر المستلزم بالكراهية" [4]

وأما في صفوة التفاسير فيرى الصابوني أنّ للاستفهام في هذه الآية تداولية الإنكار؛ إذ أنكر عليهم موسى عليه السلام استبدال ما هو قيم بما هو أقل منه؛ إذ يقول:" قال لهم موسى منكرا عليهم: ويحكم أتستبدلون الخسيس بالنفيس وتفضلون البصل والبقل والثوم على

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص207.
[2] المصدر نفسه، ص207.
[3] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص523.
[4] المرجع نفسه، ص521.

المن والسلوى"[1] كما نجد أن الأندلسي قد حذا حذوهم متفقا معهم في تداوليّة الاستفهام المتمثلة لي الإنكار مع الاستبدال والاعتياض؛ أي: طلب تبديل الخسيس بالنفيس.

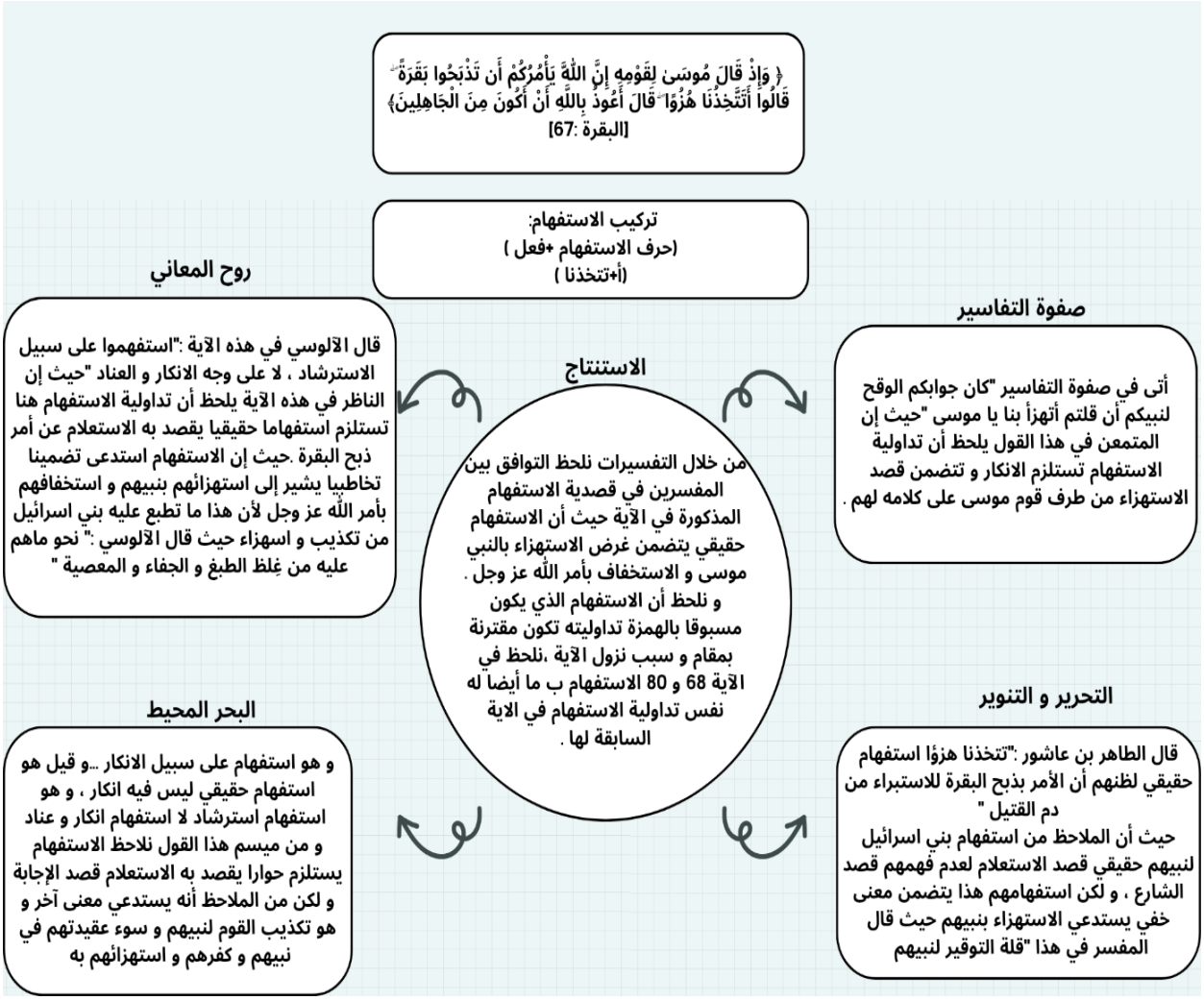

الشّكل رقم1: توافق المفسّرين في تفسير مقاصد الاستفهام في قوله تعالى: (أتتّخذنا)[2]

وفي موضع آخر من مواضع الاستفهام في سورة البقرة نجد قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص54.

[2] ينظر: روح المعاني، ج1، ص230/ صفوة التفاسير، ج1، ص59/ البحر المحيط، ج1، ص415/ التحرير والتنوير ج1ص547.

يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75] نجد أنّ أسلوب الاستفهام في هذه الآية متضمن في قوله تعالى(أفتطمعون) والذي يشمل حرف الاستفهام (الهمزة) إضافة إلى الحرف (ف).

والفعل المضارع (تطمعون). فالمقصود بكلمة الطمع" تعلق النفس بإدراك مطلوب تعلقا قويا وهو أشد من الرجاء"[1] أي أن الرجاء يأتي بعد الطمع في الدرجة الثانية.

والواضح أن هذا الاستفهام قد أفاد تداولية الاستبعاد أو الإنكار التوبيخي وهذا ما جعله يتوافق مع سياق الآية. كما نجد أن هذا الاستفهام قد استلزم طمع رسول الله موسى عليه السلام في إيمان اليهود الذين كانوا حوله؛ إذ كان يتلطف معهم، وهذا يتضح من كون الخطاب موجها إلى الرسول صلى الله عليه و سلم أو إلى المؤمنين.

أما بما يخص ضمير الغيبة فنجد بأنه موجه إلى اليهود المعاصرين له صلى الله عليه وسلم، وهذا لأنهم الفئة المراد منها الإيمان، وهذا ما أكده الألوسي من خلال قوله:" الخطاب لرسول الله ﷺ والمؤمنين أو المؤمنين... وضمير الغيبة لليهود المعاصرين له صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم المطموع في إيمانهم، وقيل جنس اليهود"[2]. كما نجد أنه سبحانه وتعالى قد أنكر إيمانهم وهذا بالنظر إلى الأمور التي كانوا يفعلونها نحو تحريفهم لكلام الله.

وأما بما يخص التضمين التخاطبي فنجد بأنه متمثل في تبيان قبائح اليهود وهذا ظاهر من خلال الأمور القبيحة التي قاموا بها كتحريفهم لكلام الله تعالى وتبديله من تلقاء أنفسهم إضافة إلى توبيخهم عليها.

وفي تفسير آخر من التفاسير نجد ابن عاشور قد خص الاستفهام الوارد في الآية بالتعجب والإنكار؛ إذ المقصود به إنكار الطمع في إيمان اليهود والتعجب من طمع الرسول

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ص256.

[2] المصدر نفسه، ص256-257.

في إيمانهم، إذ يقول:" لا طمع لكم في إيمان قوم هذه صفات خاصتهم و علمائهم فكيف ظنكم بصفات دهمائهم "[1]

وهذا راجع إلى الصفات التي كانوا يتسمون بها من تحريف لكلام الله ونفاق للرسول عليه الصلاة والسلام وغيرها من الصفات المستقبحة، وأنه إذا كان خاصة القوم يتصفون بهذه الصفات فما بالك بعامتهم. أما في صفوة التفاسير فنجد أن الصابوني قد وافق الإمام الألوسي في رأيه؛ إذ يرى أن الله تعالى يخاطب المؤمنين الذين يرجون ويطمعون في إيمان الكفار بغض النظر عن الأفعال التي كانت تصدر منهم عمدا لا عن خطأ و نسيان، إذ يقول: "يخاطب الله تعالى عباده المؤمنين فيقول (أفتطمعون أن يومنوا لكم) أي أترجون...أن يسلم اليهود...و قد كانت طائفة من أحبارهم وعلمائهم...يغيرون آيات التوراة...على بصيرة لا عن خطأ ونسيان".[2] أما صاحب البحر المحيط؛ فقد أقر بأن للاستفهام تداولية التقرير والإنكار، وأن ما استلزمه الخطاب هو الطمع في إيمان اليهود الذين كانوا بحوار الرسول إذ "الحديث في اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله ﷺ لأنهم الذين يصح فيهم الطمع أن يؤمنوا؛ لأن الطمع يصح في المستقبل والضمير في (أن يؤمنوا) لليهود، والمعنى استبعاد إيمانهم".[3] فاستبعاد إيمانهم راجع إلى شناعة وقبح أفعالهم، وأن الفعل تطمعون جاء في صيغة المستقبل وذلك لأنه لا يصح أي يطمع في أمر مضى بل فيما هو قادم؛ أي: الطمع في المستقبل.

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص568.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص62.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص438.

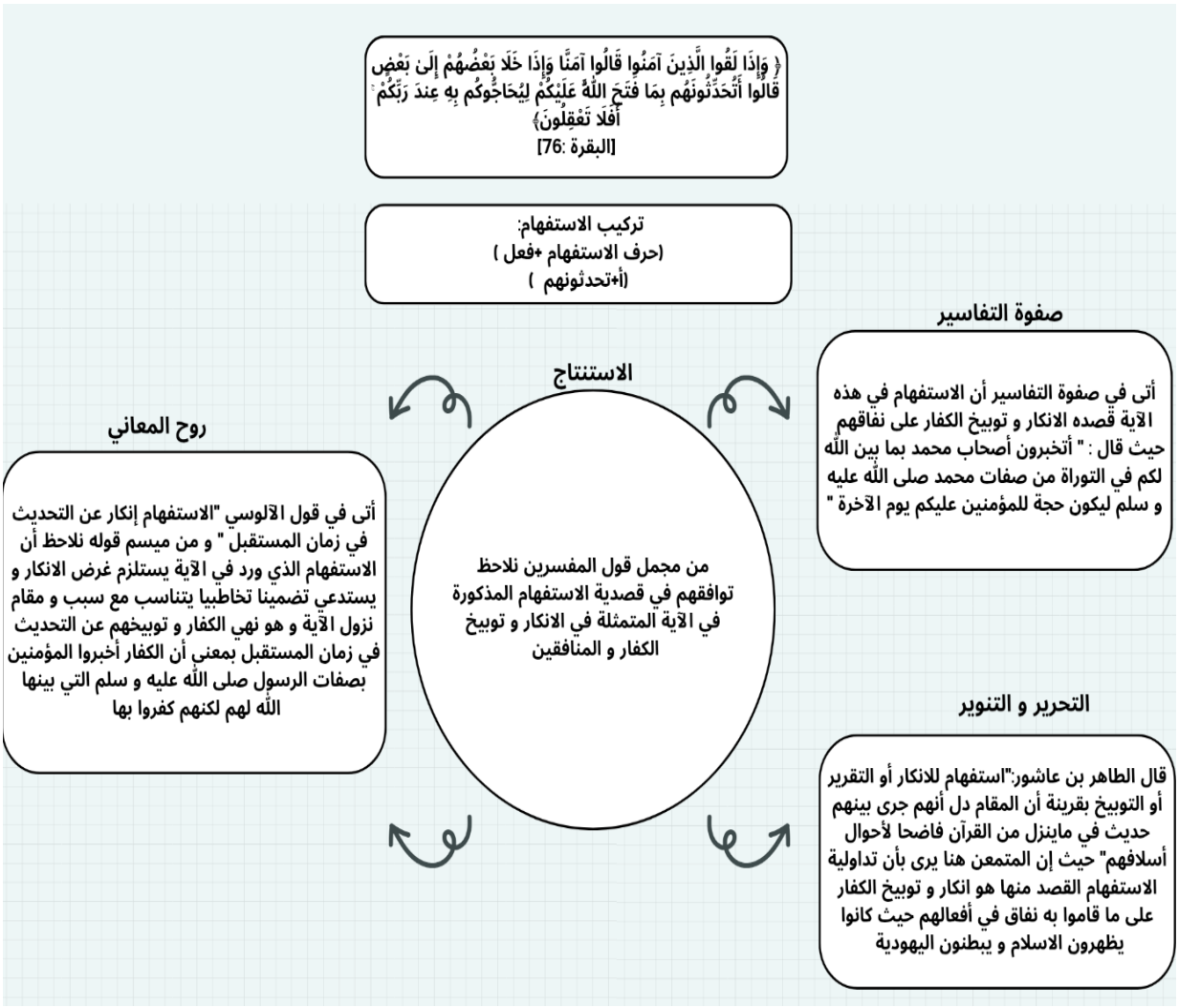

الشّكل رقم2: توافق المفسّرين في تفسير مقاصد الاستفهام في قوله تعالى: (أتحدّثونهم)[1]

وسنحاول أيضا الانتقال إلى آية أخرى واتخاذها كنموذج لنحدد مقصدية الاستفهام الوارد فيها: قال تعالى:﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: 77].

والبين من قوله تعالى أن أسلوب الاستفهام قد ورد وفقا للتركيب الآتي [حرف الاستفهام (الهمزة)+ حرف الواو+ حرف اللام+ الفعل (يعلمون)]. وهذا ما جعله يستلزم تداولية الإنكار مع التقريع ليتناسب مع سياف الآية، وهذا من خلال تقريع اليهود و تذكيرهم بأن الله تعالى محيط بكل شيء وأنه يعلم ما في السر وما في العلن، وفي هذا السياق قال الألوسي:

[1] ينظر: روح المعاني، ج1، ص259، صفوة التفاسير، ج1، ص62، التحرير والتنوير، ج1، ص56.

"الضمير للموبخين؛ أي: يلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون ما ذكر، وقيل: الضمير للمنافقين فقط أو لهم و للموبخين أو لآبائهم المحرفين" [1] أي توبيخهم على نفاقهم وتذكيرهم بقدرة الله وأنه محيط بكل شيء وذلك لأنهم كانوا في العلن يزعمون الإيمان وفي السر ينكرون ذلك، وهذا ما يحيل إلى أن ما استلزمه هذا الاستفهام هو توبيخ اليهود وتذكيرهم بمدى قدة الله.

وأما التضمين التخاطبي فيتمثل في تبيان مدى شناعة أفعالهم بالرغم من "أن أهل الكتاب كانوا عالمين بإحاطة علمه تعالى، والمقصود بيان شناعة فعلهم بأنهم يفعلون ما ذكر مع علمهم (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون)" [2] وهذا ما يحيل إلى أن الآتي بالمعصية بالرغم من علمهم بها أعظم وزرا.

والبين من قول الألوسي: أن أسلوب الاستفهام قد ورد وفق تركيب معين تمثل في (الهمزة +الواو + الام + يعلمون) ليتناسب مع سياق الآية الذي ينكر افعال اليهود ويقرعهم عليها، وأن لهذا السياق مقام تمثل في: العناد بغية الاستهزاء. وهذا ما جعل هذا التركيب يستلزم مقصدا تمثل في التوبيخ.

غير أنّ الطاهر بن عاشور فنجد بأنه قد خالف الإمام الألوسي في تداولية الاستفهام في قوله تعالى (أولا يعلمون) إذ يرى بأن لهذا الاستفهام تداولية التقرير والتحضيض؛ التقرير ارتبط بالرسول عليه الصلاة والسلام أما التحضيض فقد ارتبط باليهود وهذا على حد قول ابن عاشور: "التقرير: أي ليسوا يعلمون ذلك والمراد التقرير بلازمه وهو أنه إن كان يعلمه

[1] الألوسي، روح المعاني، ج1، ص262.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص262.

فقد علمه رسوله... التحضيض: أي هل كان وجود أسرار دينهم في القرآن موجبا لعلمهم أن الله يعلم ما يسرون والمراد لازم ذلك أي يعلمون أنه منزل عن الله"[1].

والبين من هذا أن التقرير قد ارتبط برسول الله وأنهم لا يعلمون ذلك، وأنه إذا كان الله يعلمه فهذا يحيل إلى أن الرسول أيضا يعلمه من غير شك، وأما فيما يخص التحضيض فقد ارتبط باليهود، والمراد أنه لما كان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وأن هذا الكلام منزل من عند الله وجب أن يكون دليلا على صدقه لا موجبا للتهمة. أما في صفوة التفاسير فنجد أن اسلوب الاستفهام قد أفاد تداولية التوبيخ من خلال توبيخ اليهود الذين يزعمون الإيمان في العلن وفي السر العكس من خلال إنكاره، وهذا ما عبر عنه الصابوني بقوله: "قال تعالى ردا عليهم وتوبيخا... ألا يعلم هؤلاء اليهود أن الله يعلم... لا تخفى عليه خافية فكيف يقولون ذلك ثم يزعمون الإيمان". [2] أما ابن حيان فيرى بأن لهذا الاستفهام تداولية التوبيخ مع التقرير والتقريع أي أن المقصد من الخطاب؛" توبيخ من الله لهم... وتقرير لهم أنهم عالمون بذلك... وقيل تقريع لهم وحث على التفكر"[3]

وحري بالذكر أن الله قد وبخ اليهود على نفاقهم وتظاهرهم أمام المؤمنين بالإيمان بالرغم من علمهم أن الله تعالى يعلم السر والعلانية؛ أي أنهم كانوا يسرون الكفر ويتظاهرون بالإيمان أمام المؤمنين والرسول.

وأما بما يخص التقرير فقد كان المقصد منه حثهم على التوقف عن النفاق والكذب؛ لأن ذلك لا يناسبهم خاصة أمام قدرة الله، أما التقريع فكان بغية حثهم على التفكر في قدرة الله وأنه لا تخفى عليه خافية.

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص572.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص63.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص441.

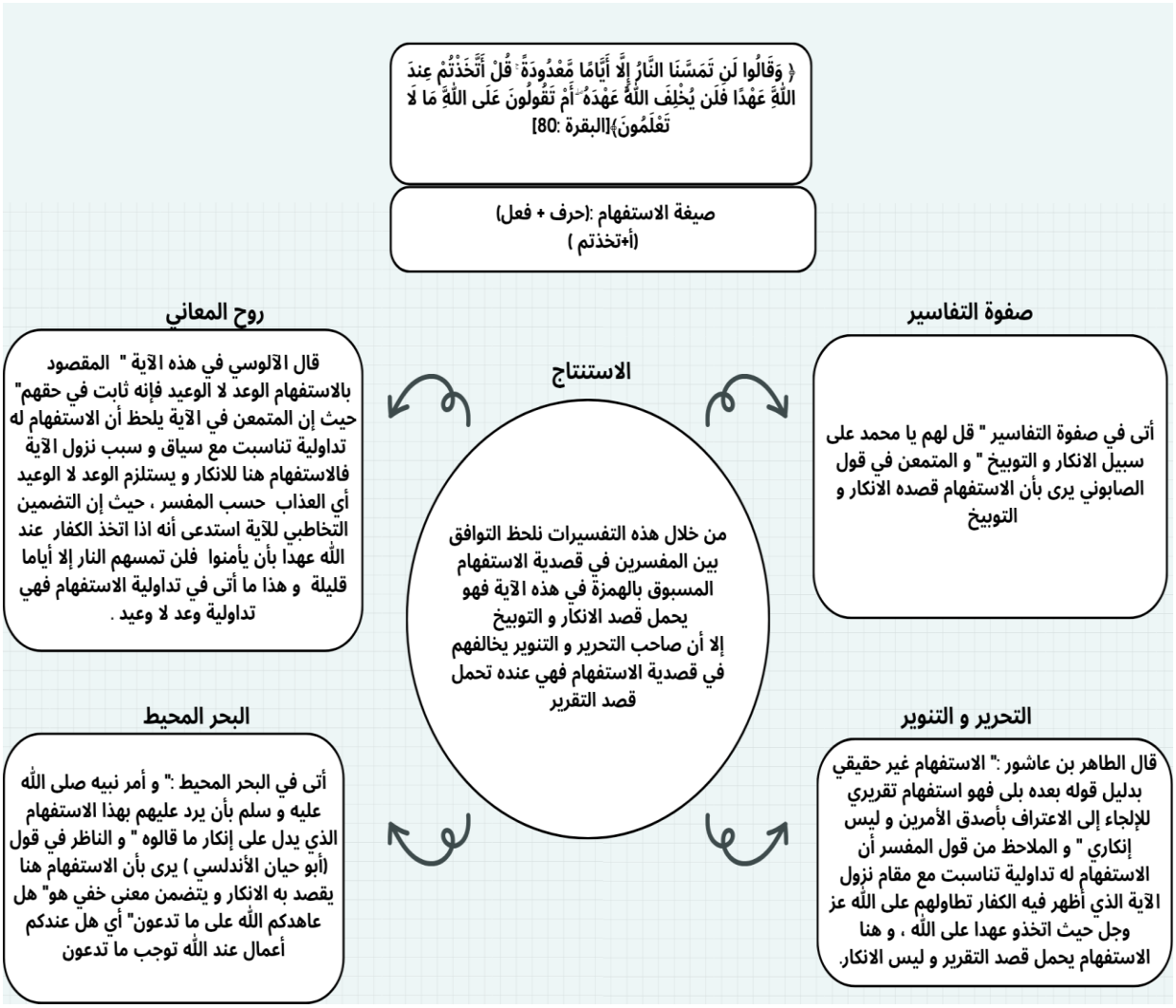

الشّكل رقم3: توافق المفسّرين تفسير مقاصد الاستفهام في قوله تعالى: (أتّخذتم)[1]

وفي آية أخرى قال تعالى:﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 85]

وأما بما يخص أسلوب الاستفهام في هذه الآية فنلحظ بأنه قد ورد وفق تركيب تمثل في [حرف الاستفهام (أ) ثم حرف (الفاء)بعدها الفعل المضارع (تؤمنون)] والبين من قوله تعالى

[1] ينظر: روح المعاني، ج1، ص270/ صفوة التفاسير، ج1، ص63/ البحر المحيط، ج1، ص445/ التحرير والتنوير ج1، ص580.

أن هذه الآية نزلت في بني إسرائيل الذين قاموا بالتفريق في أحكام الله، وهذا على حد قول الإمام الألوسي:" الاستفهام للتهديد والتوبيخ على التفريق بين أحكام الله تعالى؛ إذ كان العهد بثلاثة أشياء: ترك القتل و ترك الإخراج، ومفاداة الأسارى، فقتلوا وأخرجوا على خلاف العهد وفدوا بمقتضاه".[1]

فمن خلال هذا يمكن القول بأن تركيب الاستفهام في هذه الآية قد توافق مع مقامها المتمثل في التفريق في أحكام الله تعالى؛ وهذا ما جعل الاستفهام هنا يستلزم تداولية التهديد والتوبيخ وذلك من خلال تهديد وتوبيخ بني إسرائيل على الأفعال التي كانوا يقومون بها، نحو إخراج الناس من ديارهم، مقاتلة بعضهم...

وحري بالذكر أن أسلوب الاستفهام في هذه الآية قد استلزم توبيخ وتهديد اليهود، وهذا راجع لكونه بمثابة تهديد لبني إسرائيل على أفعالهم وتوبيخ عليها؛ إذ كانوا يؤمنون بكتاب الشرع قولا ويكفرون به فعلا فلا يفعلون ما أمروا به ولا ينتهون عما نهوا عنه؛ أي ءامنوا ببعض وكفروا بالبعض الآخر؛ أي جمعوا بين الكفر والإيمان في آن واحد.

وأما ما تضمنه الخطاب فهو متعلق بإيمانهم بنبوة موسى عليه السلام وكفرهم بنبوة خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا ما عبر عنه الألوسي بقوله:" القول بأن المراد بالبعض المؤمن به نبوة موسى عليه السلام و البعض الآخر نبوة نبيا ﷺ[2]".

وأن المقصد من الإيمان والكفر تجاوز مجرّد ارتباطه بأحكام الله ونقض ما نص عليه العهد إلى الإيمان بموسى عليه السلام والكفر بمحمد.

وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن الاستفهام في تركيب (أفتؤمنون) له تداولية الإنكار والتوبيخ؛ أي إنكار فعل أهل الكتاب وتوبيخهم عليه إذ خالفوا بعض ما جاء في كتابهم

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1، ص291-292.

[2] المصدر نفسه، ص292.

المنزل عليهم–التوراة– وذلك من خلال قتالهم لإخوانهم وهذا ما نص عليه قول ابن عاشور:"...كيف تعمدتم مخالفة التوراة في قتال إخوانكم واتبعتموها في فداء أسراكم، وسمي الاتباع والإعراض إيمانا وكفرا...للإنذار بأن تعمد المخالفة للكتاب قد تفضي بصاحبها إلى الكفر به..."[1].

والمقصد من قوله هو أن اتباع أحكام التوراة وما جاء فيها من فداء للأسرى كان المقصد منه الإيمان، وأما القتال ومخالفتها كان المقصد منه الكفر، وأن المخالفة والمعارضة على حكم واحد تهوي بصاحبها إلى الكفر. وقد اتفق معه في هذا الرأي صاحب صفوة التفاسير؛ إذ يرى هو أيضا أن للاستفهام تداولية الإنكار مع التوبيخ، وأن المقصد منه هو:" التوبيخ لأنهم جمعوا بين الكفر والإيمان، والكفر ببعض آيات الله كفر بالكتاب كله "[2]. أي: أن الخطاب موجه إلى اليهود وأنه قد استلزم توبيخهم وإنكار جمعهم بين الإيمان والكفر معا.

وجدير بالذكر أيضا أن صاحب البحر المحيط قد حذا حذوهم وسلك نهلهم بما يخص ما استلزمه الاستفهام من إنكار وتوبيخ لليهود، وأنه" لم يذمهم على الفداء بل على المناقضة إذ أتوا ببعض الواجب وتركوا بعضا، وتكون المناقضة... في الذم "[3]. أي أن توبيخهم كان نتيجة لنقضهم العهد إذ أدوا بعض الواجب منه كفدية الأسرى، و تركوا بعضا منه كقتلهم بعضهم لبعض، وإخراجهم الناس من ديارهم، ولربما هذا راجع لكونهم اعتقدوا بأنه غير واجب بالرغم من وروده واضحا و صريحا في التوراة. وأضاف قائلا:" المراد التنبيه على أنهم في تمسكهم بنبوة موسى على نبينا عليه الصلاة و السلام مع التكذيب بمحمد ﷺ"[4]

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 591.

[2] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص66

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص461.

[4] المرجع نفسه، ص461..

أي بالإضافة إلى توبيخهم على الأفعال التي قاموا بها، و نقضهم للعهد أراد تنبيههم أيضا بخصوص تمسكهم و إيمانهم بموسى عليه السلام و كفرهم بمحمد ﷺ.

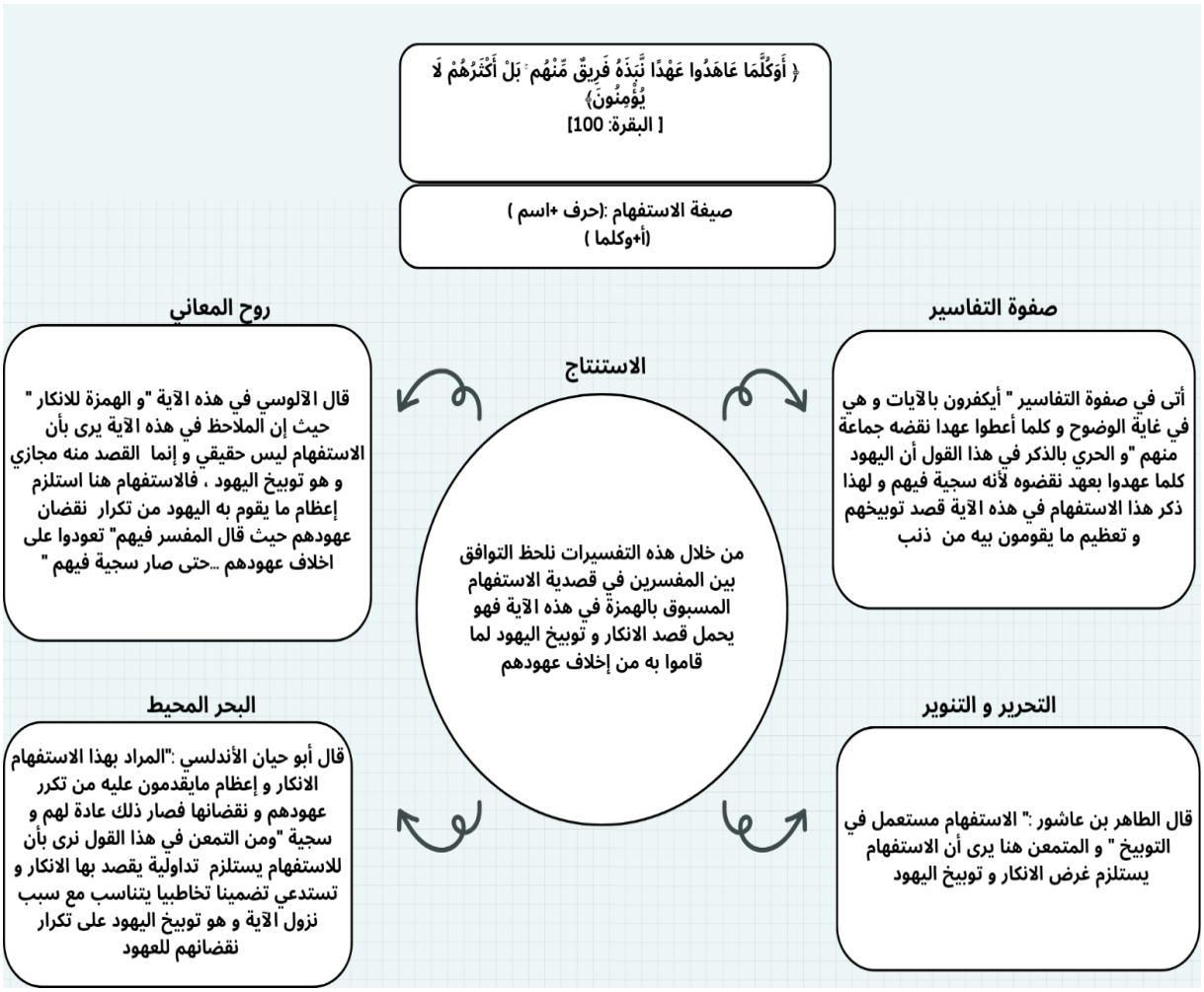

الشّكل رقم4: توافق المفسّرين في قصديّة الاستفهام قوله تعالى: (أو كلّما)[1]

وفي موضع آخر قال جل وعلى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 106] في هذه الآية نجد بأن أسلوب الاستفهام قد جاء على النحو الآتي: [حرف الاستفهام (الهمزة)+ حرف النفي (لم)+ الفعل

[1] ينظر: روح المعاني، ج1، ص339/ صفوة التفاسير، ج1، ص73 / البحر المحيط، ج1، ص492/ التحرير والتنوير ج1، ص625.

[1]محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص76.

المضارع(تعلم)]. نجد بأن لهذا التركيب دلالة تناسبت مع السياق و المقام المتمثل في إنكار النسخ والذي نقصد به:" رفع حكم شرعي و تبديله بآخر".[1] إذ إن المشركين قالوا عن رسول الله ﷺ:" أولا ترون إلى محمد صلى الله وسلم يأمر أصحابه بأمر أصحابه ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ".[2] أي يأمرهم بأمر وبعد مدة يأمرهم بخلاف ذلك الأمر وهذا كان محطة لاستغرابهم. والواضح من هذا أن لهذا الاستفهام تداولية تناسبت مع السياق؛ إذ يرى الإمام الألوسي أن تداولية هذا الاستفهام تفيد التقرير وقيل للإنكار.

وحري بالذكر أن هذا الاستفهام قد استلزم تداولية التقرير وهذا لأن الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ حيث يقول الألوسي:" الخطاب للرسول ﷺ وأريد بطريق الكناية هو و أمته المسلمون، وإنما أفرده لأنه صلى الله عليه و سلم أعلمهم و مبدأ علمهم، ولإفادة المبالغة مع الاختصار"[3] أي أن ما استلزمه الحوار هو إفادة المبالغة مع الاختصار؛ إذ تتمثل المبالغة في مدى قدرة الله تعالى وإحاطة علمه بكل شيء سواء في السماء أم في الأرض وأنه قادر على كل شيء، أما الاختصار فتمثل في التعبير عن المعنى بأقل عدد من الألفاظ؛ أي عوضا عن قوله أنه تعالى قادر على خلق السماوات والأرض ومن فيهما وقادر على أن يحي ويميت.... إلخ، عبر عنه بعبارة قصيرة لكنها تحمل معنا كبيرا ألا وهي (الله على كل شيء قدير).

وأما التضمين التخاطبي فمرتبط بمنكري النسخ- الكفار- وهذا ما عبر عنه الألوسي بقوله:"... قيل لمنكري النسخ، والمراد الاستشهاد بعلم المخاطب بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ و على الاتيان بما هو خير أو مماثل."[4]

---

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص76.

[2] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1 ص.373

[3] المصدر نفسه، ص380.

[4] المصدر نفسه، ص380.

وميسم القول أن الخطاب عندما كان موجها إلى الرسول ﷺ وجدنا أن الاستفهام قد استلزم تداولية التقرير، وأنه عندما وجه إلى الكفار استلزم تداولية الإنكار كونهم أكروا قدرة الله في النسخ، إضافة إلى أن تركيب الاستفهام له دور كبير وفعال في تبيان مقام الآية.

وأما الطاهر بن عاشور فيرى أن تداولية الاستفهام تتمثل في التقرير؛ كما يرى بأنه " لا يصلح توجه المضمون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لا يقرر على الاعتراف على أن الله على كل شيء قدير وإنما التقرير للأمة. المقصد...التعريض لليهود ".[1] والبين أن تداولية التقرير عند ابن عاشور مرتبطة بالأمة عكس الألوسي الذي ربطها بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأن المقصد من التقرير هو التعريض للكفار، و أضاف قائلا بخصوص الخطاب في كلمة (تعلم):" الخطاب في تعلم ليس مراد منه ظاهره...وهو النبي ﷺ، بل هو إما خطاب لغير معين خارج على طريقة المجاز من ليس حاضرا للخطاب منزلة المخاطَب...و إما مراد به ظاهره.. فيكون المخاطب النبي... لكن المقصود المسلمون " [2]

أي أن الخطاب ليس موجها إلى الرسول ﷺلأنه لا ينكر قدرة الله تعالى وبالأخص في عملية النسخ بل هو موجه إلى المسلمين والكفار وغيرهم. وقد اتفق معه في هذا الرأي كل من ابن حيان والأندلسي؛ إذ يرون أن الاستفهام قد استلزم تداولية التقرير وأن المقصد من الخطاب هو مخاطبة أمة الرسول ﷺ إذ يقول أبو حيان:" القصد بمخاطبة النبي صلى الله عليه و سلم مخاطبة أمته... هذا استفهام معناه التقرير "[3] أي أن ظاهر هذا الخطاب هو توجيهه إلى الرسول ولكن ما تضمنه هو توجيهه إلى المسلمين والكفار؛ لأن الرسول لا ينكر قدرة الله تعالى وبخاصّة في عملية النسخ عكس الكفار.

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص664.

[2] المرجع نفسه، ص664.

[3] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص515.

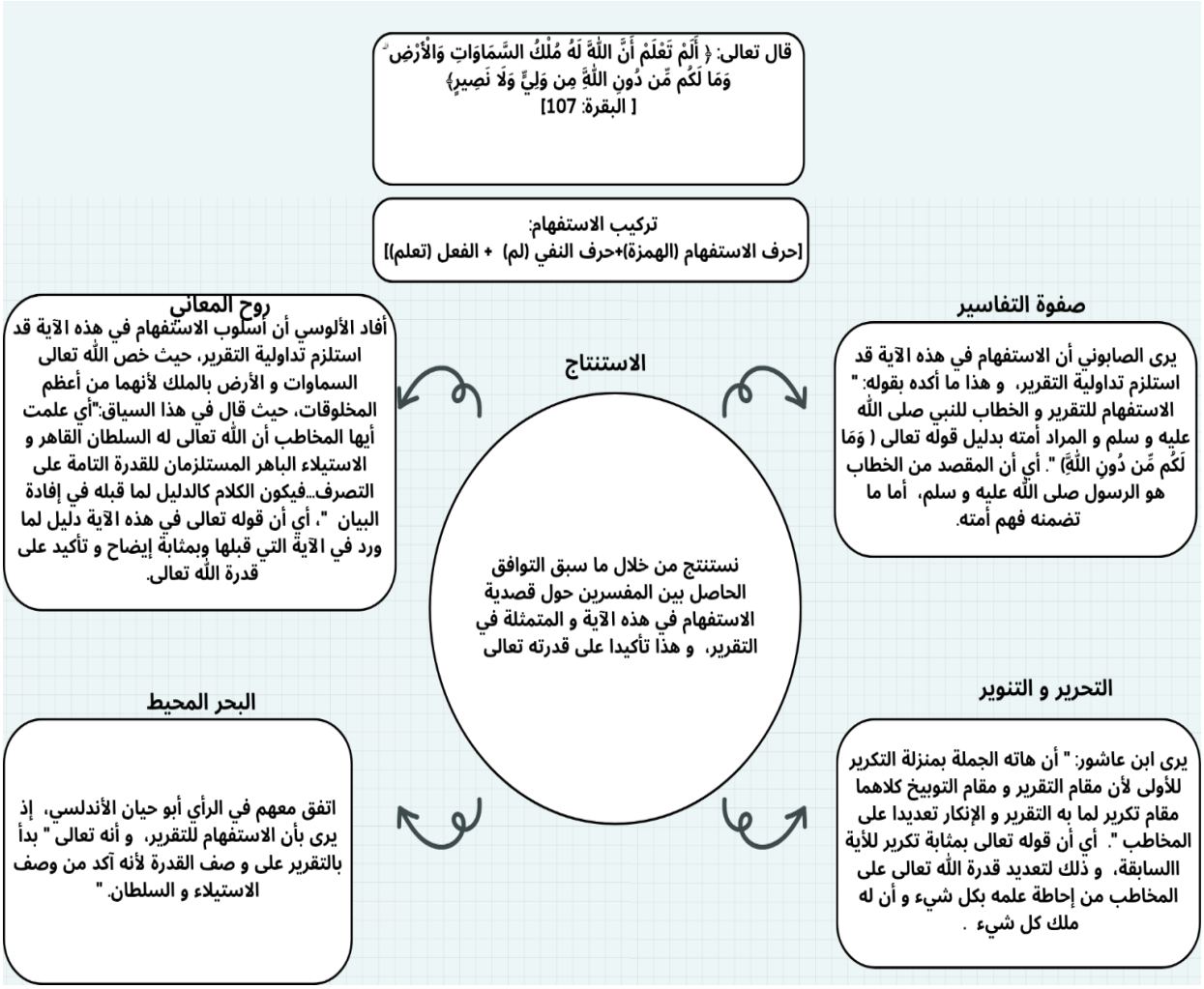

الشّكل رقم5: توافق المفسّرين في مقاصد الاستفهام في قوله تعالى: (ألم تعلم)[1]

سنحاول النّظر إلى آية أخرى كنموذج ونحاول معرفة قصدية الاستفهام الوارد في الآية:

قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 114] الواضح من خلال قوله تعالى أن أسلوب الاستفهام قد ورد وفق تركيب تمثل في:

[1] ينظر: روح المعاني، ج1، ص380/ صفوة التفاسير، ج1، ص76/ البحر المحيط، ج1، ص515/ التحرير والتنوير ج1، ص665.

[اسم الاستفهام (من)+ الاسم (أظلم)]، وأن تداولية هذا الاستفهام قد خرجت عن حقيقة الاستفهام لتفيد معنى النفي الذي يدرج ضمن الخبر وهذا ما جعلها تتناسب مع السياق.

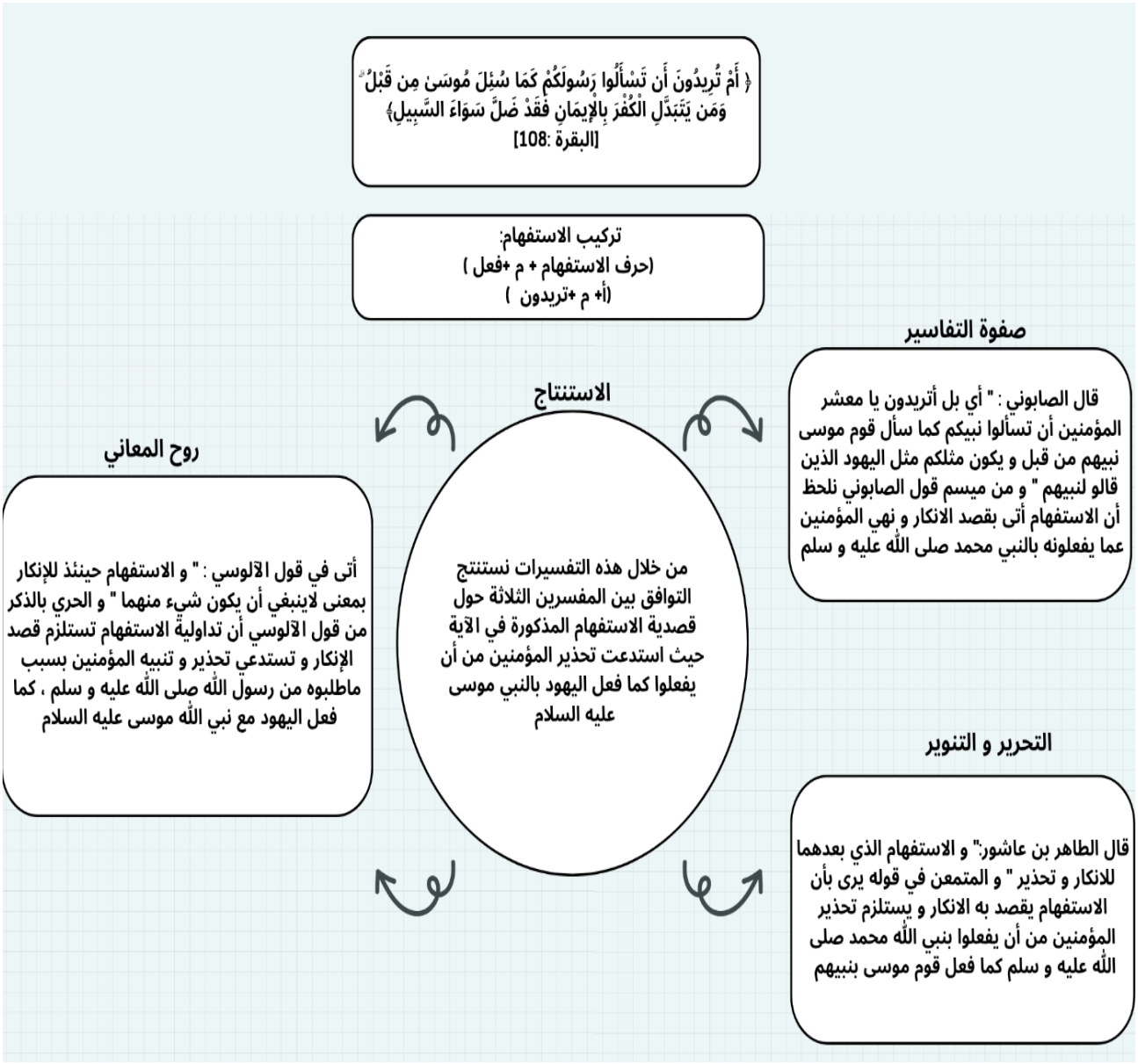

الشّكل رقم6: توافق المفسّرين في مقاصد الاستفهام في قوله تعالى: (أم تريدون)[1]

[1] ينظر: روح المعاني، ج1، ص354/ صفوة التفاسير، ج1، ص76 / التحرير والتنوير، ج1، ص666 .

ومنه يمكن القول أنّ ما استلزمه الخطاب هو النفي وهذا ما يقتضه السياق الذي هو أصل المقصد؛ أي لا أحد أظلم. "واستشكل بأن هذا التركيب قد تكرر في القرآن الكريم ك « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا» الأنعام -21-... فإذا كان المعنى على هذا لزم التناقض"[1] أي وجود تناقض بين (لا أحد أظلم)، التي تدرج ضمن النفي الذي يعود في أصله إلى الخبر، وبين (من يظلم؟) التي تدرج ضمن الاستفهام. هذا التنقل في نمط التركيب من الجملة الإنشائية إلى الجملة الخبرية غرضه التخصيص وهذا على حد قول الألوسي:" فالأَولى أن يجاب بأن ذلك لا يدل على نفي التسوية في الأظلمية وقصارى ما يفهم من الآيات أظلمية أولئك المذكورين فيها ممن عداهم، كما أنك إذا قلت: لا أحد أفقه من زيدٍ وعمرٍ وخالدٍ لا يدل على أكثر من نفي أن يكون أحد أفقه منهم، وأما...أحدهم أفقه من الآخر ".[2]

فالبين من قول الألوسي أن السبب الذي منع أن يذكر اسم الله في المساجد ولم يفترِ على الله كذبا أقل ظلما ممن جمع بينهما وليس مساويا في الأظلمية بل متساوون فيها.

وقد أشار الألوسي أيضا إلى أن الاستفهام في الآية السباقة قد يفيد تداولية التهديد مع الزجر عند نفي المساواة في الأظلمية والزيادة في الكفر؛ حيث يقول: " وإن جعلت ذلك الكلام مُخرجا مخرج المبالغة مع التهديد والزجر مع قطع النظر في المساواة أو الزيادة في نفس الأمر- كما قيل به - محكما العرف... زال الإشكال وارتفع القيل و القال."[3]

ونظر في الآية نفسها الطاهر بن عاشور بحيث قد قال إن لهذا الاستفهام تداولية الإنكار في معنى النفي؛ أي: أنه فسر قوله تعالى (ومن أظلم) بلا أحد أظلم على أنه نفي والذي يعود في أصله إلى الخبر. ومنه يمكن القول بأنه قد استلزم حوارا يقصد به النفي؛

[1] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1، ص399.

[2] المصدر نفسه، ص399.

[3] المصدر نفسه، ص400.

أي: لا أحد أظلم منهم أي نفي أن يكون هناك من هو أظلم منهم، وهذا راجع إلى مساوئ المشركين أثناء تلقيهم للإسلام والذي كان القصد منه هدايتهم، وفي هذا السياق يقول ابن عاشور:" إنما كانوا أظلم الناس؛ لأنهم أتوا بظلم عجيب فقد ظلموا المسلمين من المسجد الحرام وهم أحق الناس به وظلموا أنفسهم بسوء السمعة بين الأمم ".[1] أي: أنّ المقصد من قوله هو فضحهم وتبيان مساوئهم، وهذا من خلال حرمانهم للمسلمين من المسجد الحرام؛ بحيث ظلموهم و ظلموا أنفسهم في الوقت نفسه وهذا من خلال فساد سمعتهم بين الأمم.

وقد نحا نحوهم صاحب البحر المحيط؛ حيث اتفق معهم في الرأي وفي تداولية الاستفهام؛ إذ نجد بأن" ظاهر الآية العموم في كل مانع... التخصيص يكون بالنسبة إلى السبق لما لم يسبق أحد إلى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكا طريقتهم في ذلك... ونفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية؛ لأن نفي المقيد لا يدل على نفي المطلق".[2]

أي: أن ما استلزمه الاستفهام وأن الظاهر منه يشمل كلا من: من منع ذكر اسم الله في المساجد إضافة إلى الافتراء بالكذب على الله وغيرها، وأن التخصيص يعود إلى السبق؛ أي: بما لم يسبق إليه أحد فحكم عليهم بأنهم أظلم ممن بعدهم، ولكن هذا لا يعني أن من افترى على الله الكذب أقل ظلما ممن منع ذكر اسم الله في المساجد بل هم متساوون؛ لأنّ نفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية.

وكما نلحظ أيضا أن صاحب صفوة التفاسير قد نهل من نهلهم و حذا حذوهم؛ إذ وافقهم في تداولية الاستفهام المتعلقة بالنفي؛ أي (لا أحد أظلم) وقال بأنه استنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم منه خاصة بأفعالهم الشنيعة من تخريب للمساجد، منع الذكر

[1] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص680.

[2] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص526-527.

فيها...إلخ؛ إذ يقول:" استنكار واستبعاد؛ لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك ".[1] أي: استبعاد؛ لأن يكون هناك من هو أظلم منهم نظرا لأفعالهم.

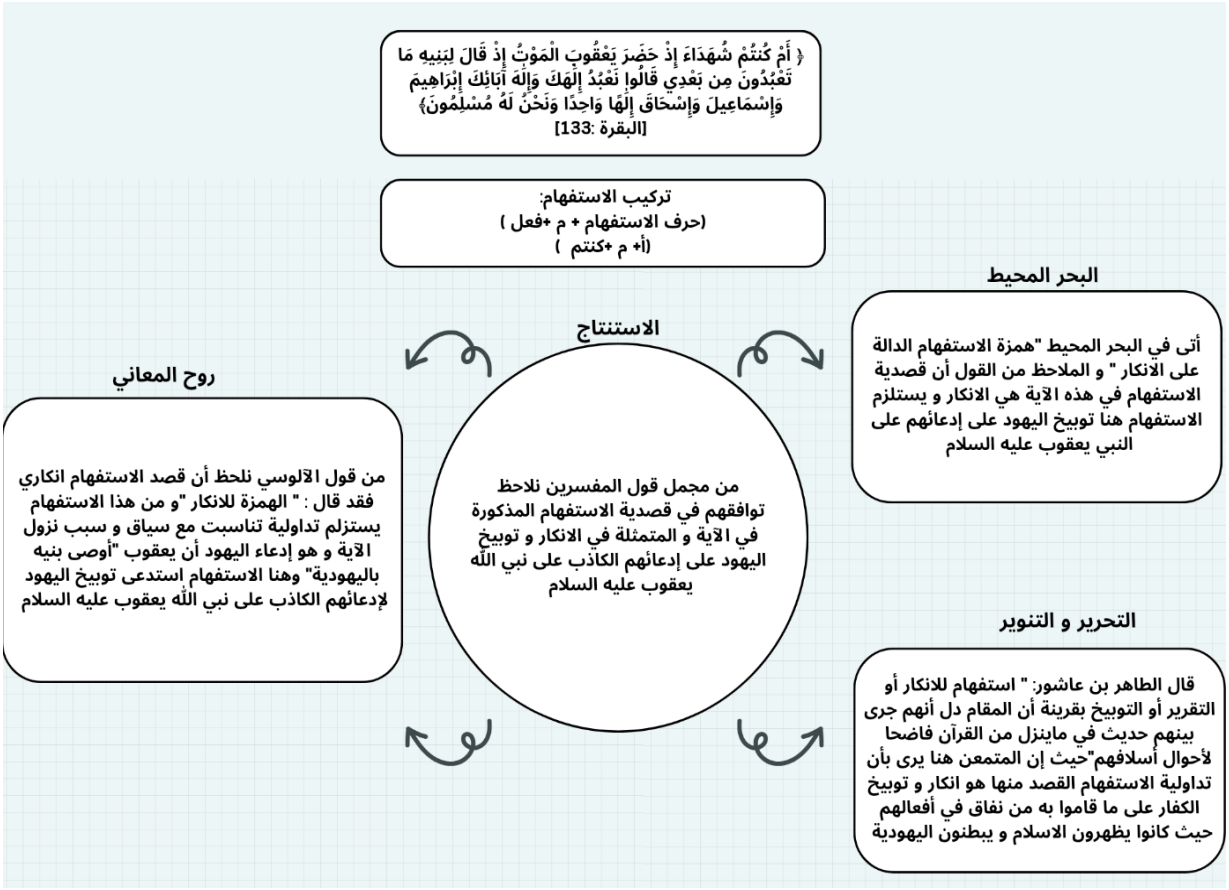

الشكل رقم7: توافق المفسّرين في تفسير مقاصد الاستفهام في قوله تعالى: (أم كنتم)[3]

[1] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص78-79.

[2] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص526-527.

[3] ينظر: روح المعاني، ج1، ص457 / البحر المحيط، ج1، ص572/ التحرير والتنوير، ج1، ص739.

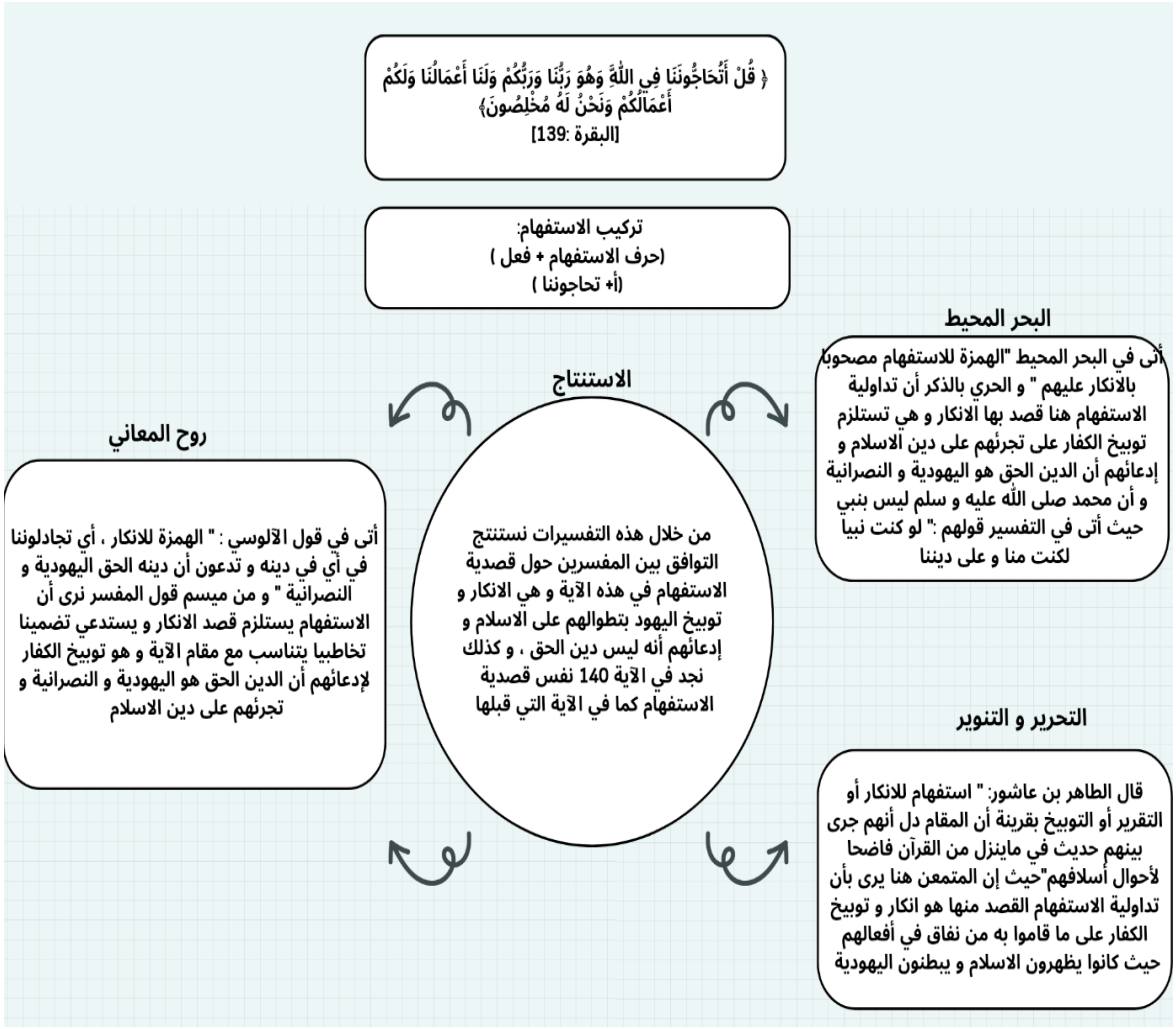

الشّكل رقم8: توافق المفسّرين في تفسير مقاصد الاستفهام في قوله تعالى: (أتحاجوننا)[1]

[1] ينظر: روح المعاني، ج1، ص474/ البحر المحيط، ج1، ص585/ التحرير والتنوير، ج1، ص745.

يَهْدُفُ هذا البحث إلى معالجة قضية أساسية في الدرس اللغوي عامة والبلاغي والتداولي خاصة؛ ألا وهو الاستفهام ومقصديته؛ حيث وسمنا بـ: **(قصدية الاستفهام في كتاب روح المعاني للألوسي)** وقمنا باختيار الجزء الأول نموذجا للتطبيق ومحاولة استخراج الاستفهامات الواردة فيه الجزء الأول أنموذجا.

وهذا الموضوع الذي يبحث في علمين اثنين؛ علم البلاغة والتداولية في باب الاستفهام من حيث مقصديته. ومن خلال البحث بصرنا إلى النتائج الآتية:

-إن التداولية من العلوم اللغوية الحديثة التي تربط بين التراث والحداثة، وإنها تركز على التفاعل التخاطبي بين المتكلم والسامع، وأن الاستفهام يدخل ضمن النبرة الخطابية التي يحدث على مستواها التفاعل.

- إن مقصدية تداولية الاستفهام تتمثل في إحداث التفاعل بين المتحدث والسامع.

- إن الاستفهام نوع من أنواع القضايا التي تبرز التفاعل التخاطبي بين الأطراف المشاركة في عملية التواصل.

- إن العلاقة بين التركيب النحوي للاستفهام والقصدية علاقة وثقى، فقد يستلزم التركيب الواحد مقاصد مختلفة حسب سياق ومقام الآية.

- إن التراكيب اللغوية تبين مقاصد الآيات من خلال مقاماتها وهذا ما يسهم في إحداث التفاعل التخاطبي.

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أ. المعاجم بالعربيّة:

1- بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، لبنان: 1986: مكتبة لبنان أبو دائرة المعاجم.

2- أبو الفضل جلال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط1. كورنيش النيل_القاهرة:1119 دار المعارف، مج2، ج17.

ب. الكتب بالعربيّة:

1-أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تد: يوسف الصميلي، صيدا بيروت، المكتبة العصرية

2- أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تح ، أحمد محمد الانخراط ، دمشق : 2006، دار القلم ، ج1

3- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (دول)، ط1. القهارة:2008، دارعالم الكتب

4- اسماعيل شعلان مشرف المحمد، الاستفهام في القران الكريم- استفهام الملائكة حول خلافة الانسان أنموذجا-جامعة المصطفى العالمية:2019-1440، بنك الرسائل والأطاريح الجامعية العراقية

5- بن عيسى ازبيط، الخطاب اللساني العربي-هندسة التواصل الاضماري من التجريد إلى التوليد.

6- بهاء الدين محمد مزيد، كتاب تبسيط التداولية، ط1، القاهرة: 2010، شمس للنشر والتوزيع

7- جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، تح: أحمد مختار الشريف، دمشق: 1987، ج4.

8- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد صقر، القاهرة

9- شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط3. دمشق: 2015، دار الرسالة العالمية، مج 1

10- صبحي إبراهيم الفقي، التداولية عند ابن جني، دراسة تطبيقية في كتاب الخصائص

11- صلاح اسماعيل عبد الحق، نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 2005

12- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو الكوثر العقلي، الدار البيضاء: المركز الثقافي

13- عبد الرحمن توفيق العماني، أدوات الاستفهام دراسة احصائية مقارنة، الجامعة الاردنية: 2008.

14- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ط1، بيروت، لبنان: 1430-2009، دار النهضة العربية.

15- عبد الفتاح يوسف، التداولية وتنوع مرجعيات الخطاب. حدود التواصل بين لسانيات الخطاب والثقافة، جامعة المنصورة، مصر،

16- عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه -إعرابه ط1، 2000، مطبعة الشام.

17- علي بن محمد الشريف الجرجاني، التعريفات. بيروت: 1985: مكتبة لبنان

18- فريدة بن فضة، الاستفهام عند السكاكي _ دراسة تداولية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو

19- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، ط1. بيروت، 1998: دار الكتب العلمية، ج1

20- محمد ابن يوسف الشهيد بأبي حيان الأندلسي، تفسير المحيط، ط1. بيروت :1993، دار الكتب العلمية، ج5

21- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير. تونس: 1984، الدار التونسية للنشر، ج1

22- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط1. القاهرة: 1997، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

23- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ط1، بيروت:2005، دار الطليعة.

24- نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ط1. القاهرة: 2004، مكتبة الآداب.

ح. كتب مترجمة:

1-الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، الجزائر: 1986 ديوان المطبوعات الجامعية.

د. المقالات العلميّة:

01- باديس لهويمل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة.

02- رندة قدور، محمد بن أحمد، الاستلزام الحواري قراءة في تعدد المصطلحات، مجلة إشكالات في اللغة والأدب الجزائر، مخبر اللغة العربية وآدابها، مج 10، ع 1، 2021

03- سميرة حيدا، من أساليب العربية الاستفهام وأدواته مغني اللبيب نموذجا، مجلة حوليات التراث، جامعة وجدة، المغرب ع16، 2016.

04- فاتح مرزوق بن علي، تداولية القصدية بين الدرس البلاغي والتحليل التداولي مجلة اللغة العربية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ع1،2023

05- وليد حسين، دلالة الاقتضاء عند الأصوليين في ضوء نظرية التضمين التخاطبي عند غرائس، ع2، 2010، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية.

06-وهيبة بن جدو، الفكر التداولي في كتاب سيبويه، العدد 4، المجلد 24، 2022 مجلة اللغة العربية؛

مقدّمة..... 05

الفصل الأوّل: التّداوليّة بين الدّرس البلاغيّ والتّحليل التّداوليّ..... 10

أوّلا: ماهية التّداوليّة 10

1 –مفهومها لغة واصطلاح..... 10

2 –نشأتها عند الغرب والعرب 14

3 –قضايا التّداوليّة..... 16

3–1– الاستلزام الحواريّ 16

3–2–التّضمين التّخاطبيّ 18

3–3–القصديّة..... 22

ثانيا: الاستفهام في الدّرس البلاغيّ 24

1–مفهوم الاستفهام لغة واصطلاح 24

2–أدوات الاستفهام عند البلاغيّين 26

3–أغراض الاستفهام 33

ثالثا: الاستفهام والتّحليل التّداوليّ 36

1–قصدية الاستفهام من منظور تداوليّ 36

الفصل الثّاني: قصديّة الاستفهام وتداوليته في تفسير روح المعاني 40

أوّلا: توصيف لكتاب روح المعاني..... 40

1–معلومات الكتاب 40

2–السّيرة الذّاتية 40

3–منهج الآلوسي في كتابه..... 42

ثانيا: قصديّة الاستفهام في سورة البقرة 45

الخاتمة..... 77

قائمة المصادر والمراجع 78
فهرس الموضوعات 82

ملخّص: يتناول هذا البحث موضوعا موسوما بـ **(قصديّة الاستفهام في كتاب روح المعاني للألوسي)** هذا الموضوع الّذي يحاول الربط بين علوم متقاطعة في الحقل المعرفيّ؛ بين التداوليّة في شقها من القصديّة التي تعد من أساسيات التفاعل التخاطبي بين المتكلّم والسّامع، وكذا الاستفهام الذي يعد مبحثا أساسا في الدّرس اللّغوي؛ إذ جمع بين التركيب النحوي والبلاغي من حيثُ تداوليُته ومقاصدُه متجليّة معالمه من خلال مدّونة لغويّة جليلة انمازت في التّفسير اللّغويّ في الجزء الأول منه محاولين تتبّع المقاصد التّداوليّة للاستفهام من منظور الألوسيّ وأهم ما أشار إليه من مقاصد تنمّ عن تمرّسه في الجانب اللّغويّ التفسيري، وربطه بالسياقات المختلفة، التي أساسا تعدّ مرتكزا دقيقا في معرفة خبايا الاستفهام من منطلق التركيب وأنماطه المختلفة.

الكلمات المفاتيح: القصديّة، التّداولية، الاستفهام، التضمين التخاطبيّ.

Summary: This research addresses a topic entitled (The intentionality of questioning in the book rawh moani by Al-Alusi). This subject attempts to connect intersecting sciences within the field of knowledge; between pragmatics in its aspect of intentionality, which is one of the fundamentals of communicative interaction between the speaker and the listener, as well as questioning, which is a central issue in linguistic studies. It combines grammatical and rhetorical structure in terms of its pragmatics and intentions, revealing its features through a distinguished linguistic corpus in linguistic interpretation, particularly in its first part. We aim to trace the pragmatic intentions of questioning from Al-Alusi's perspective, noting the main purposes he highlighted that reflect his proficiency in the linguistic interpretive aspect, and relating it to different contexts, which fundamentally serve as a precise foundation for understanding the subtleties of questioning from the standpoint of structure and its various types.

Keywords: intentionality, conversational implicature, inquiry, conversational inclusion.